

د. محمد بن فرائد بن همام السعدي

وكيل كلية برمنجهام للعلوم الإنسانية

بين أسوار مراكش

تجاريح الذكريات والثقافة والتاريخ

أدب
الرحلات

تقديم شعري
أ. إسماعيل زويرق

دار الهدى
للطباعة والنشر

بين أسوار مراکش
تباريح الذكريات والثقافة والتاريخ



اسم الكتاب: بين أسوار مواكش

تباريح الذكريات والثقافة والتاريخ

اسم الكاتب: د. محمد بن فائد بن همّام السعيد

نوع العمل: أدب الرحلات

تقريب شعري: أ. إسماعيل زويريق

الرقم الدولي EBIN: ١٦-١-٣٤٠-٢٤١١١٢

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: ٢٠٢٤ م / ١٤٤٦ هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



٠٠٢١٢٧٧١٨١٤٩٣٤



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



Darbassma1@gmail.com



المملكة المغربية

كل الحقوق
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأيّ طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

بين أسوار مراکش تباريح الذكريات والثقافة والتاريخ

أدب الرحلات

تقريظ شعري: أ. إسماعيل زويرق

د. محمد بن فائد بن همّام السعيدي

وكيل كلية برمنجهام للعلوم الإنسانية





الإهداء

إلى روح والدتي الغالية،
رغم رحيلك، كنتِ معي في كل لحظة من هذه الرحلة،
في ضحكات أطفالي، وفي كل حركة وسكنة في كل زاوية من
مراكش التي حملت عبق التاريخ.

هذا الكتاب لكِ،
لأنكِ، وإن غبتِ عن الدنيا، لا تزالين حاضرة في قلبي،
وفي كل تفاصيل حياتي.

رحمك الله وأسكنك فسيح جناته.



تقريظ شعري

مهداة إلى شيخنا العالم الدكتور محمد السعيدى، وكيل كلية برمنجهام للعلوم الإنسانية، هذه الخواطر حول كتابه:

“بين أسوار مراکش: تباريح الذكريات والثقافة والتاريخ”

بِما كَتَبْتَ أزلتَ اليومَ ما انْحَجَبًا
ما أروعَ الكاتبَ الموهوبَ إن كَتَبًا

قَرَأْتُ ما كَتَبْتَ يُمناكَ في شَغَفٍ
يُحِثُّني ما أراهُ، هَزَنِي طَرَبًا

فَلَمْ أَجدِ غيرَ ما يُمناكَ قد كَتَبْتَ
يَسْفِي الغَيلَ وَيُجَلِّي عَنِّي الحِجَابًا

فَكُلُّ مَا كَتَبْتَ يَمْنَاكَ مُرْتَفَعٌ

لَمْ أَلْفِ فِي نَقْضِ مَا قَدْ يَحْتَوِي سَبَبًا

مُرَّاكُشُ الْيَوْمِ فِي أَبِي مَحَاسِنِهَا

لَمْ تَحْتَجِ الْيَوْمَ فِي إِبْرَازِهَا ذَهَبًا

فَقَدْ أَتَاهَا مِنْ الْأَفْذَادِ بَاقِعَةٌ

بِمَا تَفَوَّهَ، بَزَّ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا

فَبَيْنَ أَسْوَارِهَا قَدْ طَافَ مُنْدَهَشًا

وَجَالَ يَقْرَأُ مِنْ تَارِيخِهَا حِقَبًا

يَرْنُو الْمَعَالِمَ مِنْ أَحْيَائِهَا تُحْفًا

جَمِيلَةً مَحَقَّتْ عَنْ نَفْسِهِ الرِّبَا

أَبْصَرْتَ مِنْ كُلِّ مَا صَمَّتْ حَوَائِطُهَا
مَا بَزَّ فِي الْحُسْنِ مَا قَدْ دَامَ أَوْ ذَهَبَا

كَمَا تَلَاقَيْتَ مِنْ أَعْلَامِهَا دُرًّا
وَمِنْ أَفْضَلِهَا فِي الْمُنْتَدَى شُهْبَا

وَحِينَ أَبْصَرْتُ مَا يُمْنَاكَ قَدْ كَتَبْتُ
وَجَدْتُ أَنَّ الَّذِي دَبَّجْتَهُ وَجَبَا

سَيَانَ مَنْ رَفَعَ الْأَسْوَارَ شَاهِدَةً
وَمَنْ مِنَ النَّاسِ أَبْقَى الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا

لَوْلَا الَّذِي كَتَبْتَ أَقْلَامُ مَنْ سَبَقُوا
مَا كُنْتَ تَعْرِفُ عَنْهُمْ كُلَّ مَا كُتِبَا

وَمَا أَنَا الْيَوْمَ مِمَّا قَدْ كَتَبَتْ أَرَى
فِيكَ الْأَدِيبَ، أَرَى أَكْرَمَ الْخُطْبَاءِ
فَاقْرَأْ يَا صَاحِبِي مَا دَبَّحَتْ يَدُهُ
عَلَى الْبَيَاضِ، فَأَيْمُ اللَّهِ مَا كَذَّبَا

إسماعيل زويرق- شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم- مراکش ٢٣/
أكتوبر ٢٠٢٤م.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه عندما لامست أقدامي أرض مراكش لأول مرة، شعرت كأنني أفتح باباً سحرياً نحو زمن قديم، زمن كانت فيه المدن تحمل عبق الحضارة وأسرار التاريخ. مراكش ليست مجرد مدينة تيحيا على هامش الزمان؛ بل هي كتاب مفتوح، كل شارع فيه صفحة، وكل زاوية تحمل حكاية من مجدها الذي ما زال ينبض في الحجارة، والأسوار، والأسواق التي تسكنها أرواح المرابطين والموحدين.

لم تكن هذه الرحلة مجرد مغامرة عابرة؛ بل كانت استدعاءً لتاريخ عريق، وإحياءً لذكريات أبطال صنعوا من هذه المدينة درةً على تاج الحضارة الإسلامية. في مراكش، تتعاقب القصور مع الجبال، وتتحدث المساجد بلغة الروح، وتروي الشوارع العتيقة قصص الأندلسيين والمغاربة الذين عبروا من هنا وتركوا بصماتهم في كل

حجر. وبينما كنت أسير بين أسواق جامع الفناء، أشعر بأنني أغوص في بحر من الروائح والألوان والأصوات التي تشكل لوحة نابضة بالحياة، لوحة ترسمها الأيدي الحرفية كما كانت تفعل منذ قرون.

وفي صحتي، كانت عائلتي جزءاً لا يتجزأ من هذه التجربة. كانوا الرفاق في هذه الرحلة، والأيادي التي نسقت ورتبت كل تفصيل الرحلة بدقة وحب، حتى باتت التجربة أكثر ثراءً وعمقاً. الأولاد كانوا نور هذه الرحلة. كانت ضحكاتهم تتردد بين جدران الأسواق الضيقة، وكانت أعينهم المبهورة تنظر إلى العالم من زاوية البراءة والاكتشاف. في كل خطوة، كنت أستشعر تاريخاً يمتد لقرون، بينما كانوا يرون فيه مغامرة ممتعة تروي لهم قصص الأجداد. وبين أزقة باب أغمات العتيق، وتحت ظل أسوار المدينة الشاهقة، عشت معهم لحظات امتزج فيها الحاضر بالماضي، وارتسمت فيها صورة العظمة التي أضاءت سماء مراکش في عهد المرابطين والموحدين.

لهم الفضل في هذه الرحلة بكل تفاصيلها. لولاهم، لما اكتشفت سحر مراکش بعمق. كان وجودهم معي هو من أضفى على هذه الرحلة طابعها الفريد، وفتح أمامي أبواباً جديدة لتأمل هذه المدينة العريقة من خلال أعينهم.

إنني في هذا الكتاب، أحملكم معي في رحلة عبر الزمن، رحلة تقتني أثر هؤلاء الذين صنعوا من مراکش أكثر من مجرد مدينة. إنها قصة عائلة تستعيد من خلالها روح الماضي، حيث الأقدام تسير على خطى الملوك والعلماء، وحيث يتناغم صوت التاريخ مع حاضر ينبض بالحياة.

إنها رحلة في عقب الحضارة وأصلتها، بين مجد المرابطين وأناقة الموحدين، وبين ضجيج الأسواق وسكون المساجد. أتمنى أن تجدوا في هذه الرحلة ما وجدته أنا: لحظات من التأمل، ومشاهد من العظمة، وذكريات تستحق أن تُتخذ.

وقبل اختتام أود أن أتوجه بوافر الشكر والتقدير للأستاذ الشاعر الكبير إسماعيل بن عمر زويريق، الذي أكرمني واستقبلني في بيته في مراکش، وكان بي حفيماً، ثم أضفى على هذا العمل بُعداً آخر من الجمال من خلال تقريره الشعري الرائع. إن كلماته المبدعة لم تكن مجرد مدح للكتاب، بل كانت إضافة أدبية رفيعة يستحق عليه كل الشكر والتقدير. والشكر موصول للحاج يوسف عبيد الذي استضاف في بيته العامر المبارك أمسية ثقافية وتظاهرة علمية جمعت شخصيات علمية ومجموعة أكاديمية ونخبة من كبار الأدباء والمثقفين في مدينة

مراكش، وسعدت كثيراً باستقباله وحفاوته، وبجهوده في خدمة العلم والثقافة فله دره، ومن كل خير زاده وأعطاه.

أخيراً هذا الكتاب، إذن، هو ثمرة رحلتي بين أسوار مراكش، بين ذكرياتي الشخصية وحضارة مدينة لم تزل تحتفظ بعبق الماضي المجيد. أدعوكم لتشاركوني هذه الرحلة، حيث يتداخل الحاضر مع الماضي، وتكشف أمامكم حكايات مراكش بكل ما تحمله من أسرار وجمال.

وكتب د. محمد بن فائد بن همّام السعيدي

آخر تبييض كان في يوم الخميس ٢٤/١٠/٢٠٢٤م، برمنجهام-
المملكة المتحدة.



الفصل الأول من برمنجهام إلى مراكش: تأملات في الجو.

حين أقلعت الطائرة من مطار برمنجهام، متجهة نحو مراكش، بدأت تأملاتي تتسع مع كل دقيقة نمضيها في السماء. السماء كانت غائمة فوق بريطانيا، ولكن بمرور الوقت، تحولت الغيوم إلى بساط ناعم تحت جناحي الطائرة، يضيء على الرحلة شعوراً بالسكينة والانسيابية. ووسط هذا المشهد الذي يبدو بسيطاً، بدأت أفكر في تلك المعجزة التي نحن بصدددها، في هذا التحول الكبير الذي يجعلنا ننتقل من مكان إلى آخر، من قارة إلى قارة، بكل سهولة وأمان.

الانتقال بين عوالم مختلفة

الرحلة من برمنجهام إلى مراكش ليست مجرد انتقال جغرافي، بل هي انتقال بين عوالم مختلفة. بريطانيا، بما تحمله من أجواء باردة

ورطوبة، تغدو شيئاً من الماضي مع مرور الساعات في الجو، حيث يتغير المناخ تدريجياً ونحن نقترّب من الدفء المغربي. هذا التباين الحاد بين الأجواء يمثل صورة أخرى للعظمة التي تحملها الطائرات، حيث تختصر الفصول والمسافات في ساعات معدودة.

بينما كنا نطير فوق الأراضي الأوروبية، مروراً بالبحر المتوسط، كنت أتأمل كيف لهذا الحديد الهائل أن يربط بين قارات وثقافات وشعوب مختلفة. إنه انتقال من عالم إلى آخر، انتقال لا يمكن أن يتحقق بهذه السهولة والسرعة لولا تلك الوسيلة التي وهبها الله لنا.

الهدوء والسكون في السماء

مع وصولنا إلى نقطة في الرحلة حيث لم يعد هناك سوى السماء الصافية، أحاطت بنا حالة من الهدوء والسكون. هذا السكون كان يبعث في نفسي إحساساً مزدوجاً؛ من جهة، هو شعور بالأمان والطمأنينة، ومن جهة أخرى، كان يذكرني كم نحن ضعفاء في هذا الكون الواسع. الطائرة تحلق في الفراغ، ونحن بداخلها نعيش في هذا النظام المعقد، وكل شيء يسير وفقاً لدقة محكمة، لكننا في النهاية معلقون في الفضاء، بين السماء والأرض.

هنا، يبدأ العقل في التأمل في عظمة الخالق، وكيف سخر للإنسان هذا الفضاء ليتنقل فيه بأمان. كل لحظة نقضيها في الجو هي في حد ذاتها تذكير بأننا نحيا بفضل الله، الذي يحفظنا في سفرنا وييسر لنا هذه الوسائل.

الهبوط نحو مراکش

عندما اقتربنا من مراکش، بدأت الأرض تكشف عن نفسها من خلال النافذة، كانت مشاهد الجبال الرملية والسهول المفتوحة تتناغم مع الجو الدافئ الذي بدأ يتسلل إلى الطائرة. هنا، شعرت أنني انتقلت حقاً إلى عالم آخر، ليس فقط من حيث الطقس والمناظر، بل من حيث الروح والمشاعر. مراکش، هذه المدينة التي تجل في طياتها تاريخاً وثقافةً مختلفين تماماً عما تركته خلفي في برمنجهام، كانت بانتظاري بترحيبها الحار وألوانها الزاهية.

في هذه اللحظات الأخيرة من الرحلة، أدركت أنني عشت ساعات من التأمل والسكينة، وأنا معلق في السماء، متنقلاً بين عالمين مختلفين. إنها تجربة تعيد إليّ إحساسي بالعظمة الكامنة في كل رحلة جوية؛ حيث يتداخل العلم مع الإيمان، وحيث تُسخر قوانين الطبيعة

لخدمة الإنسان، ليتنقل بين البلدان والشعوب، وليعيش تجارب
جديدة تثري عقله وروحه.



الفصل الثاني يماني في مطار مراكش ، أول لحظات لقاء بالمغرب .

في لحظة امتزجت فيها أحاسيس الغربة بحمي الشوق، وطئت أقدام السائح اليمني تراب مطار مراكش لأول مرة بعد رحلة طويلة قادمة من بلاد الضباب، بريطانيا. كانت السماء الزرقاء في الخارج تبدو وكأنها قوس حاضن لكل أحلامه ورغباته في استكشاف هذا البلد الذي لطالما سمع عنه في القصص والتاريخ. وبينما كانت الطائرة تهبط ببطء، كانت عيناه ترقبان السحب وهي تثشتت، كأنها تُفسح المجال لهبوطه في عالم جديد.

جمال المطار وروعة التصميم

ما أن خطا خطواته الأولى في مطار مراكش، حتى أحاطته مشاعر الدهشة والإعجاب. المطار، بواجهاته الزجاجية وأقواسه الرشيقة،

كان يبدو وكأنه بوابة حضارية تجمع بين الأصالة والمعاصرة. بدت قاعات الانتظار أشبه بمعابد عصرية، حيث امتزجت الزخارف العربية بتصاميم حديثة تأسر الأبواب. لكل زاوية، كان هناك حديث مختلف عن تاريخ مشترك بين الحاضر والماضي، كأنما هذه الأبواب والنوافذ هي مرآة تُظهر بريق حضارة المغرب عبر العصور.

تنوع البشر ولغات العالم

عندما أطلق بصره في المطار، رأى أن هذا المكان ليس مجرد محطة عبور، بل هو لوحة فنية حية تعج بالألوان والوجوه. هنا ترى الرجل الأوروبي بملابسه العصرية، وهناك العائلة المغربية بتقاليدها ولباسها التقليدي، تتسلل بينهما همسات من لغات مختلفة، الفرنسية والإسبانية والعربية والإنجليزية، كل واحدة تحمل في طياتها حكاية مختلفة. أحس وكأنه في ملتقى للأمم، حيث تتلاقى الثقافات لتنسج نسيجاً إنسانياً فريداً.

رأى المرأة الإفريقية بجلبابها الملون، والرجل الآسيوي بجديته، والمغربي بلباسه الأصيل، وبدأ يتخيل كل واحد منهم كأجزاء من فسيفساء مراكشية تضيف إلى هذا المكان روحاً لا تُنسى. بدت

الألوان متمازجة، كما تتمازج الروائح في الأسواق الشعبية، حيث تشتبك التوابل والعطور مع بعضها البعض.

عبق التاريخ وشوق للمغرب

بينما كان يسير بين القاعات، أخذ شذا الزعفران وعبق المسك يتسربان إلى أنفه، وكأن روح المغرب بأصالتها وحضارتها تستقبله قبل أن يخرج من بوابات المطار. كان يتخيل مراكش القديمة بحاراتها الضيقة، وأزقتها التي تحمل في كل منعطف قصة من قصص الماضي، وكأنه يقف على عتبة باب يعود لقرون مضت. أدرك حينها أن هذه الأرض ليست مجرد أرض جديدة، بل هي مكان يخفي بين طياته أسراراً، تنتظر من يكتشفها.

لقد كان شعوره بالمكان أشبه برحلة في الزمن. الزمن الذي جمع سلاطين وأمراء وأمهات وقادة، الزمن الذي نقش عليه التاريخ حروفه الذهبية في قصور فاس ومرابط مراكش. كان شوقه للتاريخ شوق الباحث عن جذور الإنسانية، عن تلك اللحظات التي تشابكت فيها الثقافات والديانات لتخلق مزيجاً فريداً يُعرف باسم المغرب.

شوق إلى الماضي ورغبة في المستقبل

في تلك اللحظات التي وقف فيها متأملاً في المطار، أدرك أن هذا المكان هو أكثر من مجرد محطة وصول. إنه بوابة لعالم جديد، عالم يحمل في طياته عبق الماضي وقوة الحاضر. كان الشوق يعتصره؛ شوق لاكتشاف أسوار مراكش القديمة، للملامسة حجارة مدينتها العتيقة، وللتنقل في أسواقها المفعمة بالحياة.

إنه الشوق إلى المغرب. البلد الذي امتزج فيه جمال الشرق بروعة الغرب، حيث تجتمع الحضارة العربية بالأمازيغية، والإفريقية بالأوروبية. في تلك اللحظة، شعر وكأن قلبه لم يعد في صدره، بل أصبح يسير بين دروب مراكش، يتلهم جدرانها، ويستمتع لنداء مؤذنيها، ويتذوق طعم شمسها الحارقة.

الخاتمة: ولادة جديدة على أرض المغرب

أمام بوابة المطار، حيث تلامس الشمس خصلات شعره المبعثرة، وقف السائح اليمني للحظة، متأملاً الجبال البعيدة التي تحيط بمراكش كأنها درع يحميها. تذكر قصص الأجداد الذين عبروا الصحراء،

وابتسم. أدرك أن رحلته هذه ليست مجرد رحلة جسدية، بل هي رحلة روحية، بحث عن شيء أعمق من مجرد المناظر أو التقاليد. إنها ولادة جديدة لعشقه لهذا البلد الذي لم يعرفه بعد، لكنه يشعر وكأنه عاش فيه منذ الأزل.

كان ذلك هو المغرب، وكان هو ذلك اليمني الباحث عن روح جديدة في أرض جديدة، وأدرك أن مراكش ليست مجرد مدينة، بل هي بداية قصة جديدة تنتظره في كل زقاق، في كل حجر، وفي كل لقاء عابر.



الفصل الثالث مدينة مراكش: أصالة إسلامية وفخامة وتآلق عبر التاريخ

مدينة مراكش ليست مجرد مدينة مغربية عادية، بل هي رمز للأصالة الإسلامية وتاريخ غني يمتد لقرون طويلة. تجمع مراكش بين عمق التاريخ، والفخامة في المعمار، والتآلق الثقافي والفني، مما جعلها واحدة من أهم الوجهات السياحية والثقافية على مستوى العالم. هذه المدينة الحمراء، التي نشأت من رحم الصحراء، أصبحت شاهداً على فترات مجيدة من الحضارة الإسلامية في المغرب الكبير، وارتبطت بها أسماء عظيمة في تاريخ المغرب.

أصالة إسلاميتها تأسيساً: مدينة إسلامية أصيلة

ما يميز مراكش عن كثير من المدن الإسلامية الأخرى هو أنها لم تُبن على أنقاض مدن سابقة كالرومانية أو الفينيقية، بل أنشئت من

الصفير على يد المرابطين، لتكون العاصمة الأولى لدولتهم الإسلامية التي امتدت من الأندلس إلى إفريقيا جنوب الصحراء. تأسست المدينة سنة (٤٦٢ هجرية) في عهد القائد المرابطي أبو بكر بن عمر، وقد اختير موقعها بعناية ليكون محايداً بين القبائل المتنافسة في المنطقة، حيث أقيمت في سهل الحوز شبه القاحل، قرب وادي نفيس وعند سفح جبال الأطلس الكبير.

لم يكن اختيار هذا الموقع عشوائياً، بل كان يعكس تماماً الطبيعة الصحراوية للمرابطين. فالمدينة أنشئت كامتداد لثقافتهم، مع قلة الموارد الطبيعية وصعوبة الظروف المناخية، إلا أن هذه الصعوبات لم تكن حاجزاً أمام ازدهار المدينة، بل أصبحت مركزاً تجارياً وحضارياً رئيسياً في الغرب الإسلامي، لتجمع بين الأبعاد الدينية، العسكرية، والاقتصادية، مما أكسبها طابعاً خاصاً يعكس أصالة إسلامية عريقة.

فخامة مراكش: معمار يعكس عظمة الحضارة الإسلامية

عندما نتحدث عن مراكش، لا يمكننا إغفال فخامة معمارها وتفردتها الحضاري. تتميز المدينة بهندستها المعمارية التي تجمع بين

البساطة والرفاهية. فعلى الرغم من تأسيسها في منطقة صحراوية، أصبحت المدينة مشهورة بقصورها الفخمة وأسوارها الحمراء العالية، التي بناها المرابطون والموحدون لتكون حصناً منيعاً أمام الهجمات الخارجية.

تُعد أسوار مراكش من أبرز المعالم التي تعبر عن نغامتها وقوتها. شيدت في القرن الثاني عشر الميلادي خلال عهد الموحدين، وتحيط بالمدينة القديمة بطول يمتد حوالي ١٩ كيلومتراً، وتتميز بأسلوب معماري فريد يعتمد على مواد محلية، مثل الطين والتربة الحمراء، التي أكسبتها لقب "المدينة الحمراء". كما تتخلل هذه الأسوار أبواب ضخمة وشهيرة، مثل باب دكالة، وباب أكناو، وباب أغمات، التي صممت بعناية لتكون جزءاً من الهيبة العسكرية للمدينة، إلى جانب كونها مداخل رئيسية تجارية وعسكرية.

المعمار الفخم لا يتوقف عند الأسوار والأبواب، بل يمتد إلى القصور التاريخية مثل قصر البديع الذي يُعد من أعظم إبداعات الحضارة المغربية. تم بناؤه في سنة ٩٨٦ هجرية خلال عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي. القصر كان يعكس الثراء والفخامة، حيث زُين بالذهب والمرمر والفسيفساء المغربية، ورغم الدمار الذي لحق

به في فترات لاحقة، إلا أن أطلاله ما زالت شاهدة على نخامة البناء.

تألق مراكش: مركز الثقافة الإسلامية

لم تكتفِ مراكش بكونها مدينة تجارية وعسكرية، بل أصبحت بمرور الزمن مركزاً للعلم والثقافة الإسلامية. مع نمو المدينة وازدهارها، أصبحت مراكش مدينة العلماء والفنانين، حيث احتضنت العديد من المدارس والجامعات التي خرّجت أجيالاً من العلماء في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية.

تحتضن مراكش أحد أقدم المساجد في المغرب، مسجد الكتبية، الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن السادس الهجري في عهد الموحدين. هذا المسجد ليس مجرد مكان للعبادة، بل هو معلم هندسي يجسد روعة العمارة الإسلامية، بفضل مئذنته الشهيرة التي يصل ارتفاعها إلى ٧٧ متراً، وهي مصدر إلهام للكثير من المساجد في العالم، بما في ذلك صومعة الخيرادة في إشبيلية.

تألق مراكش لم يكن فقط في المساجد، بل أيضاً في الأسواق التقليدية التي أصبحت رمزاً للتجارة والثقافة المحلية. سوق جامع الفنا الشهير، المدرج ضمن التراث الثقافي اللامادي للإنسانية من قبل اليونسكو، يعكس هذا التألق الثقافي، حيث تتلاقى الفنون الشعبية، كالحكايات، والرقصات التقليدية، والحرف اليدوية مع الزوار من مختلف أنحاء العالم.

جمال مراكش: مزيج بين الطبيعة والفن المعماري

جمال مراكش لا يمكن فقط في عمرانها وتاريخها، بل أيضاً في تناسقها الفريد بين الطبيعة والفن المعماري. المدينة محاطة بجمال طبيعي خلاب بفضل قربها من جبال الأطلس الكبير، حيث يشكل الجبل خلفية رائعة تجعل من المدينة لوحة فنية تجمع بين الحاضر والماضي. كما تتميز المدينة بحدائقها الساحرة التي تعكس اهتماماً خاصاً بالطبيعة والجمال.

حدائق المنارة وحدائق ماجوريل هما من أبرز الحدائق التي تجعل مراكش ملاذاً طبيعياً لزوارها. تعد حديقة المنارة، التي تقع عند أطراف المدينة، واحة هادئة تحيطها أشجار الزيتون، وتحتوي على بركة

مائة كبيرة، كانت تستخدم في الماضي لأغراض زراعية. أما حديقة ماجوريل، التي أنشئت في القرن العشرين، فتعتبر تحفة فنية تجمع بين النباتات النادرة والألوان الزاهية، خصوصاً اللون الأزرق الذي يميز تصميم الحديقة.

تاريخيتها: مراكش مدينة صنعت الأحداث

مراكش لم تكن مجرد مدينة جميلة ونفحة، بل كانت على الدوام مركزاً للأحداث التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ المغربي والإسلامي. في عصر المرابطين، أصبحت مراكش عاصمة لإمبراطورية شاسعة امتدت من الأندلس إلى إفريقيا جنوب الصحراء. وبعد سقوط المرابطين، استمرت المدينة في لعب دور محوري خلال حكم الموحيدين والمرينيين، حيث استمرت مركزاً سياسياً ودينياً رئيسياً.

تحت حكم السعديين في القرن العاشر الهجري، شهدت مراكش ازدهاراً ثقافياً وعمرانياً كبيراً، خاصة خلال عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، الذي جعل من المدينة عاصمة حضارية تزخر بالقصور والحدائق.

والخلاصة: مراكش، المدينة الخالدة

مراكش ليست مجرد مدينة تاريخية، بل هي قصة حضارة، تجمع بين الأصالة الإسلامية والحداثة المعمارية، بين الفخامة والجمال الطبيعي. استطاعت هذه المدينة أن تحافظ على تألقها عبر القرون، لتصبح رمزاً من رموز المغرب وقبلة للزوار من جميع أنحاء العالم. مراكش، الحمراء، المدينة التي لا تنطفئ شعلتها، ستظل دائماً شاهداً على عظمة التاريخ الإسلامي وعبقورية الإنسان في خلق الجمال والتألق في أصعب الظروف.



الفصل الرابع ذكريات مع المرابطين والموحدين: عبق التاريخ ومجد الحضارة الإسلامية

مدخل إلى ذكريات الماضي

أثناء تجوالي في شوارع مراكش القديمة، لم يكن بإمكانني إلا أن أتوقف للحظات وأأمل التاريخ الذي يحيط بي. في كل زاوية، كنت أرى إشارات إلى حقتين عظيمين من تاريخ هذه المدينة، الحقبة المرابطية والحقبة الموحدية. كان عبق الماضي يتنفس في كل حجر من أحجار هذه المدينة، ويذكرني بتلك الأيام التي كانت فيها مراكش عاصمة لأعظم الإمبراطوريات الإسلامية في المغرب.

بينما كنت أسير مع عائلتي بين الأزقة العتيقة، استرجعت في ذهني حكايات السلاطين والقادة الذين أسسوا هذه المدينة العظيمة، وكيف كانت مراكش مركزاً للإشعاع الحضاري والروحاني في العالم

الإسلامي. لم تكن هذه المدينة مجرد مركز سياسي، بل كانت رمزاً للعظمة والقوة، حيث اتحدت تحت لواء الإسلام والحضارة العربية.

المرابطون: من البدايات إلى المجد

تعود بي الذكريات إلى أيام المرابطين، تلك السلالة التي أسست مراكش وجعلتها عاصمة لها في القرن الخامس الهجري. كان القائد يوسف بن تاشفين هو الذي اختار هذه البقعة لبناء مدينة قوية تحمي حدود إمبراطوريتهم. أثناء مشيتي عبر المدينة، شعرت بأنني أستطيع رؤية بقايا تلك الحقبة العظيمة، حيث كانت الجدران والساحات تشهد على الأهمية الاستراتيجية لمراكش.

لقد كان المرابطون رجال دين وجهاد، حيث عملوا على توحيد المغرب تحت راية الإسلام، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا رجال حضارة. كانوا يبنون المساجد والمدارس، وينشرون العلم والدين في جميع أنحاء المغرب. اليوم، عندما أزور أسوار المدينة والمساجد القديمة، لا يسعني إلا أن أتذكر كيف أن المرابطين أسسوا أسس هذه الحضارة المتينة، التي لا تزال تعيش حتى يومنا هذا.

الموحدون: العصر الذهبي لمراكش

بينما أوصل استكشافي لمراكش، كانت ذاكرتي تحملني إلى العصر الذهبي للمدينة في عهد الموحدين. لقد كان عصر الموحدين هو العصر الذي شهدت فيه مراكش تطوراً هائلاً في جميع جوانب الحياة. في هذا العصر، أصبحت مراكش ليست فقط عاصمة للمغرب، بل مركزاً للإمبراطورية الموحدية التي امتدت إلى الأندلس وحتى أجزاء من أفريقيا.

كانت مئذنة الكتبية، التي لا تزال شاهجة حتى اليوم، أبرز ما خلفه الموحدون. بينما كنت أقف أمام هذه المئذنة الضخمة مع أطفالتي، شعرت وكأنني أعيد اكتشاف عظمة الموحدين.

هذه المئذنة، التي كانت يوماً ما رمزاً للقوة والروحانية، هي اليوم رمز للعراقة التي عاشتها مراكش في تلك الحقبة. لقد كان عبد المؤمن بن علي ويعقوب المنصور من أبرز حكام الموحدين الذين عملوا على تعزيز العلم والدين في مراكش.

التقدم الحضاري في عهد الموحدين

لم تكن فترة الموحدين مجرد فترة للحروب والفتوحات، بل كانت أيضاً فترة ازدهار علمي وثقافي كبير. الموحدون كانوا مهتمين بالعلم والفلسفة، واهتموا ببناء المدارس والمكتبات.

كنت أشعر بهذا التاريخ العريق وأنا أمشي مع أطفالنا بين الأزقة، حيث كانت الكتب التي درسها العلماء في تلك الفترة لا تزال محفوظة في ذاكرة المدينة.

في عصر الموحدين، كانت مراكز تمثل تفاعلاً بين الحضارة العربية والإسلامية، وتأثيرات الفلسفة اليونانية والعلم الأندلسي. هذا المزيج الثقافي جعل المدينة مركزاً للعلم والتنوير.

أثناء زيارتي لمدرسة بن يوسف، استعدت ذاكرتي تلك الأيام التي كان فيها العلماء يدرسون الفقه والرياضيات والفلك هنا.

تأملات شخصية في مجد المرابطين والموحدين

بينما كنت أتأمل تينك الحقتين العظيمتين في تاريخ مراكش، كنت أشعر بالفخر كمسلم وعربي. كيف أن هذه الحضارة، التي

جمعت بين القوة والروحانية، بين العلم والفكر، استطاعت أن تبني مدينة تجمع بين الجمال والمجد. المرابطون والموحدون لم يكونوا مجرد حكام، بل كانوا بناء حضارة تركوا بصماتهم في كل زاوية من هذه المدينة.

عندما كنت أسير مع عائلتي بجانب أسوار مراكش، كان أطفالنا يسألونني عن الحكام الذين عاشوا في هذه القصور القديمة، وكيف كانت حياتهم. كنت أحكي لهم عن يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي، وأخبرهم كيف أن هذه المدينة التي نمشي فيها اليوم كانت في يوم من الأيام مقراً لأعظم الحضارات.

كنت أشعر بأنني لا أعيش فقط في الحاضر، بل إنني أتقل بين الأزمنة، حيث كانت كل زاوية في المدينة تحكي لي قصة جديدة.

العبق الروحي والتاريخي في مراكش

ما يجعل مراكش مدينة مميزة هو هذا التداخل بين الماضي والحاضر. في كل مرة كنت أمشي بين الأحياء القديمة، كنت أشعر بأنني جزء من هذا التاريخ العريق. كنت أستطيع أن أشم عبق التاريخ في

الهواء، حيث كانت قصص المرابطين والموحدين لا تزال حية في ذاكرة المدينة.

بينما كنت أتنقل بين القصور والمساجد، كنت أدرك أن هذه المدينة ليست فقط مكاناً للسياحة، بل هي مكان يحمل في طياته روح الحضارة الإسلامية. كنت أشعر بأنني أسير على خطى العظماء الذين أسسوا هذه المدينة وبنوا مجدها.



الفصل الخامس ذكريات من قلب عاصمة المرابطين (مراكش): "خطاب زائر يماني إلى ابن تاشفين"

يا ابن تاشفين، أيها الأمير الفاتح والقائد الملهم! هنا أقف في مدينتك العظيمة، مراكش، التي جعلتها عاصمة للمجد وحاضنة لحضارة الإسلام في شمال إفريقيا.

منذ أن وطأت قدماي أرضها، شعرت وكأنني أعود إلى عصرك، حيث يتردد صدى حكايات البطولة والعظمة في أزقتها الحمراء ومعالمها الشاخنة.

كل ركنٍ هنا يروي قصتك، وكل حجر يشهد على حكمتك.

مراكش: مدينة المجد والعظمة

يا ابن تاشفين، لقد أسست مراكش في عام ٤٥٤ هـ لتكون عاصمة لدولة المرابطين، ولم تكن مجرد مدينة عابرة، بل كانت مركزاً للحضارة الإسلامية وموتلاً للعلم. كما وصفك النويري في نهاية الأرب:

“أسس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش في العام ٤٥٤ هـ، وجعلها عاصمة لدولة المرابطين التي امتدت من شمال إفريقيا إلى الأندلس. وكانت المدينة تُعد آنذاك مركزاً حضارياً وعلمياً رائداً، يقصدها العلماء والفقهاء من كل حدب وصوب.”

عندما سرت بين شوارع مراكش، رأيت كيف بُنيت هذه المدينة لتكون صرحاً خالداً للحضارة، وكيف تمتاز جدرانها الحمراء بعبق العلم والفكر. جامع الكتبية وماذنه الشامخة تروي لي قصص العلماء الذين تجمّعوا هنا، يحملون مشاعل النور والمعرفة، وأنت تتف في مقدمتهم، قائداً يرشدهم نحو المجد.

بصمات اليمن في مراكش: وحدة الحضارة والتاريخ

وأنا، اليمني القادم من أعماق حضارة سبأ وحمير، وجدت نفسي بين أهل مراكش وكأني بين أهلي في اليمن. يا ابن تاشفين، وجدت بصمات بلادي في معمار مدينتك وفي أخلاق شعبك. العمارة الإسلامية هنا، بنقوشها وتفصيلها، تحمل أوجهاً من حضارة صنعاء وتعز وزيد. في مراكش شعرت بأن التاريخ يوحد بين المشرق والمغرب، وكأن روح الحضارة العربية الإسلامية تجمعنا في رحلة عبر الزمان.

حضارتك يا ابن تاشفين لم تكن فقط ملكاً للمغرب، بل كانت جزءاً من نسيج حضاري أوسع، يشمل حضارة اليمن، ويصل إلى أقاصي المشرق والمغرب. هنا في مراكش، وجدت هوية مشتركة تربطنا، وكأن التاريخ قد رسم لنا طريقاً واحداً، طريق العلم والمجد.

رؤيتك للحضارة: العلم أساس القوة

يا ابن تاشفين، لم تكن مجرد قائد عسكري، بل كنت رجل دولة عرف أن الحضارات لا تُبنى على السيوف وحدها، بل على العلم

والعدل. في مراکش، أسست المدارس وجمعت العلماء، لتكون مدينتك منارة للعلم والفكر. وكما قال عنك ابن الأثير في الكامل في التاريخ:

“كان يوسف بن تاشفين فارساً مغواراً، لكنه كان أيضاً عادلاً، حريصاً على نشر العدل بين الناس. وكان له فضل كبير في نشر العلم والثقافة في مراکش، حيث جمع حوله العلماء من كل مكان، وجعل من مراکش مركزاً للعلم والمعرفة في المغرب.”

تذكرت كيف كنت تحفز طلاب العلم، وتفتح لهم أبواب المعرفة. إن روح العلم التي أشعلتها في مراکش لا تزال حاضرة في كل زاوية من زوايا هذه المدينة العريقة. رأيت كيف أسست المجالس العلمية وشجعت التفكير النقدي، وكأن مدينتك كانت تحتفي بالعلماء كما يحتفي النحل بالزهور.

قيادتك الحكيمة: بين العدل والشجاعة

يا ابن تاشفين، كنت نموذجاً فريداً للقائد الحكيم. جمعت بين العرب والبربر تحت راية واحدة، وكنت دائماً تُعلي من شأن العدل. ابن عذارى في البيان المغرب ذكر عنك:

“كان ابن تاشفين قائداً فذاً، جمع بين الفقه والشجاعة، وحكم بالعدل بين البربر والعرب، وسعى إلى توحيد كلمة المسلمين في المغرب والأندلس، فحقق بذلك إنجازات عظيمة أدخلت الرهبة في قلوب أعداء الإسلام.”

لقد كانت قيادتك مبنية على تحقيق الوحدة والعدل بين الناس، فاجتمع حولك الجميع، يسعون لتحقيق هدف سام: نصره الإسلام.

معركة الزلاقة: لحظة انتصار للإسلام

معركتك الحاسمة في الزلاقة، يا ابن تاشفين، كانت رمزاً للشجاعة والفخر. عندما استنجد بك ملوك الطوائف، لم تتردد في تلبية النداء، وأنت الذي أنقذت الأندلس من الضياع. كما ذكر المقرئ في نصح الطيب:

“إن معركة الزلاقة كانت من أعظم المعارك في تاريخ الأندلس، وكانت نصراً مبيناً للمسلمين تحت قيادة يوسف بن تاشفين، الذي رد هجمات النصارى وأعاد الهيبة لدولة الإسلام في الأندلس بعد أن كانت على شفا الانهيار.”

في تلك المعركة، التي خاضها جيشك بإقدام ضد جيوش قشتالة بقيادة ألفونسو السادس، وقف الإسلام من جديد على أرض الأندلس. رأيتك كالشمس التي تمحو ظلام الليل، قائداً شجاعاً يقود أمته نحو النصر والكرامة.

إرثك الخالد: دروس للأجيال

رغم مرور السنين، لا يزال إرثك يا ابن تاشفين حياً في قلوبنا. ذكراك تتردد في كل أرجاء مراكش، وكأنك لا تزال تقف في شوارعها، توجه أبناءها نحو المجد. ابن خلدون في المقدمة قال عنك:

“وأما يوسف بن تاشفين فكان أميراً جليلاً، قوي العزيمة، عادلاً في رعيته، وكان له اليد الطولى في نصرته الإسلام بالأندلس، حيث قاد

جيشه لمناصرة ملوك الطوائف في معركة الزلاقة الشهيرة، فكان بذلك
حامي حمى الإسلام.”

إن ذكراك ليست مجرد صفحات من التاريخ، بل دروساً نتعلم منها
كيف تُبنى الحضارات، وكيف يكون العلم والعدل هما الأساس
الحقيقي لأي مجد.

مراكش: جسر بين المشرق والمغرب

مراكش يا ابن تاشفين ليست مجرد مدينة، بل هي الجسر الذي
ربط بين حضارتي اليمن والمغرب. وأنا اليمني، وجدت نفسي هنا بين
أهلي، وجدت أصدقاء حضارتي في كل معلم من معالم مدينتك. لقد
جمعت بيننا بروح الإسلام التي وحدت العرب والبربر، وأضأت لنا
طريقاً مشتركاً نحو العلم والمجد.

مراكش.. ذاكرة المجد

يا ابن تاشفين، رحلتي إلى مراكش لم تكن مجرد زيارة لمدينة، بل
كانت رحلة إلى قلب التاريخ. عشت في مراكش ذكريات عظمتك،

وشاهدت آثار حكمتك وشجاعتك. في كل ركن من أركان مدينتك، شعرت بالفخر أنني أنتمي إلى حضارة إسلامية عظيمة ساهمت في صنعها أنت.

مراكش ليست مجرد مدينة، إنها ذاكرتك الحية، وذاكرة الأمة الإسلامية. وكما خلدت ذكراك، سأحمل معي ذكريات هذه الرحلة، بكل نخر واعتزاز، عائداً إلى وطني، ولكن بروح امتلأت بحب مراكش واعتزاز بتاريخك.



الفصل السادس بين دفتي الأدب والشعر: لقاء مع الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق

مدخل إلى تاريخ الأدب والشعر في مراكش

حين نتأمل في مراكش، نجد أنها ليست فقط مدينة تتحدث بلسان التاريخ والجغرافيا؛ بل هي أيضاً مدينة تنبض بروح الأدب والشعر. لطالما كانت هذه المدينة ملاذاً للأدباء والشعراء الذين وجدوا فيها ملهماً لأعمالهم. على مر العصور، كان للشعر والأدب دور عميق في تشكيل الهوية الثقافية والحضارية لمراكش، حيث تأثر أدباؤها بالفكر الصوفي والتراث العربي الإسلامي.

ولأن الشعر في مراكش لا يفصل بين الروح والجمال، ولا بين الفكر والإحساس، كانت زيارتي لواحد من أعلام الشعر المغربي، وهو الشاعر إسماعيل زويريق، والتي كانت بمثابة رحلة جديدة داخل رحلتي، لكنها لم تكن فقط في الأزقة والأسوار، بل كانت رحلة في عالم الأدب والكلمة. الأستاذ إسماعيل زويريق، ذلك الشاعر الذي

حمل شعلة الأدب والشعر عبر أجيال، وترك بصمة لا تمحى في ذاكرة الشعر العرب، وبالأخص شعر المديح النبوي..

لقائي بالشاعر إسماعيل زويريق

بدأت رحلتي الأدبية مع الأستاذ زويريق عن طريق دواوينه التي طالعها قبل وصولي مراکش بسنوات، ثم بدأت رحلة أخرى عندما زرتة في بيته، وهو يعدّ من أعظم شعراء المغرب المعاصرين. كانت زيارتي له حلماً تحقق، حيث استقبلني بكل ترحاب في بيته، وكرم ضيافته كان يعكس روحه الأدبية العميقة. منذ اللحظة الأولى، شعرت أنني أمام شخصية تحمل في طياتها تاريخاً أدبياً ثرياً، وشعراً نابضاً بالحياة، وذوقاً راقياً.

جلسنا في مكتبته العتيقة، التي كانت تحيطنا برائحة الورق القديم والكتب التي تروي حكايات العصور. أطلعني على أعماله التي تجاوزت 67 ديواناً مطبوعاً، كل ديوان يحمل بصمة خاصة، وكل قصيدة تروي قصة ملحمية من قصص الحياة والحب والتأمل. كانت مكتبته مليئة بالكنوز الأدبية، من المخطوطات القديمة إلى أحدث دواوينه الشعرية.

قصة ديوانه العظيم "على النهج"

أثناء حديثنا، تطرقنا إلى ديوانه الذي يُعدّ تاج أعماله وأعظمها، ديوانه "على النهج"، الذي اعتبره أكبر ديوان مديح في التاريخ الإسلامي، حيث تجاوز عشرين ألف بيت من المديح النبوي. حدثني زويريق عن الرحلة الطويلة التي قطعها لإنجاز هذا الديوان، وكيف كان عشق مديح الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

لم يكن هذا الديوان مجرد شعر، بل كان رحلة روحانية خالصة، حيث تفاعل الشاعر مع سيرة النبي وأخلاقه العظيمة بطريقة لا توصف. كان ديوان "على النهج" بالنسبة له مثل نهر لا يتوقف عن الجريان، يروي قلوب المحبين والمتأملين في جمال السيرة النبوية. حدثني كيف استلهم كل بيت من ذلك الديوان من نور المحبة والاعتزاز برسول الإسلام، وكيف كانت كل كلمة تعبيراً عن تعلقه العميق بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

كنت أستمع إليه بإعجاب ودهشة، بينما كان يروي لي قصة هذا العمل العظيم. رأيت في عينيه شغفاً خالصاً، وكان الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في شعره يضيء المكان بروحانية نادرة. لقد كان

هذا اللقاء لحظة ملهمة للغاية، شعرت فيها أنني أقف أمام تاريخ من الإبداع والإخلاص.

يوم في مكتبة شاعر

قضيت معه قرابة يوم كامل بين رفوف المكتبة، وكانت كل زاوية من تلك المكتبة تحكي قصة عن الأدب والشعر. أطلعني على دواوينه الأخرى، وتحدثنا عن الشعر المغربي عربييه وأمازيغيه، وأثر التراث العربي والإسلامي في صياغة الشعر المغربي المعاصر. استعدت خلال ذلك اليوم حكايات عن شعراء المغرب الكبار، وكيف كانت مراکش موطناً للأدب والشعراء عبر العصور.

لقد كان إسماعيل زويريق شاعرًا ليس فقط بالكلمات، بل بالروح.

لقد أكرمني باطلاعي على أسرار مكتبته الأدبي، ودهاليز بيته، والأماكن الخاصة التي يجلس فيها لنظم الشعر وكتابته، وفتح لي باباً إلى عوالم الشعر التي كنت أشواق لاكتشافها. كان يجلس بين رفوف الكتب وكأنه جزء من المكتبة نفسها، تتناثر أمامه

المخطوطات والدواوين، بينما كان يتحدث عن كل عمل كما لو كان يصف أحد أبنائه.

زُويريق ونبضُ المديح

هذه أبياتٌ أهديتها إلى مقام الأستاذ الشاعر الكبير، شاعرِ الرسول -صلى الله عليه وسلم-، الذي تجاوز ديوانه "على النهج" وملحقاته، أكثرَ من عشرين ألف بيتٍ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

ونظمتُ كتابَ "الشفاء" للقاضي عياض في أكثرِ من ستة ألف بيت، نظماً سلساً مستوعباً فصوله ومجمل مضامينه.

دُمُّ يا زويريقُ، شاعراً مغواراً

فلقد نظمت من المديح نفاًراً

دُمُّ يا زويريقُ، قد سللت مهنداً

ومدحت طه المصطفى المختاراً

صُنِّمُ عَلَى النَّهْجِ " الْكَبِيرِ بَرَاعَةً
مَا تَمَلَأُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ

كَتَبْتُ يَدَاكَ الْمَدْحَ فِيهِ، وَإِنَّهُ
قَدْ بَرَّ كُلَّ الْمَادِحِينَ وَطَارًا

أَنْتَ الَّذِي سَطَّرْتَ مَدْحَ مُحَمَّدٍ
تَتَعَقَّبُ الْأَخْبَارَ وَالْآثَارَ

وَجَعَلْتَ مِنْ نَبْضِ الْمَحَبَّةِ مَنَهْجًا
وَرَسْمَتَهُ لِلْعَاشِقِينَ شِعَارًا

وَصَبَّيْتَ كَالْغَيْثِ الَّذِي يَسْقِي النَّدَى
وَجَعَلْتَ لِلْأَشْعَارِ أَنْ تَخْتَارًا

قَالُوا زُوَيْرِيْقَ قَدْ تَجَرَ مَا دِحًا
وَازْدَادَ فِي تَدْيِيْجِهِ إِنْجَارًا

قَالُوا زُوَيْرِيْقَ قَدْ تَجَلَّى شَاعِرًا
وَمَدِيْحُهُ بَيْنَ الْوَرَى قَدْ سَارَا

قَالُوا سَبَقَتَ الْعَالَمِيْنَ مَدْحَتُهُ
عَشْرِيْنَ أَلْفًا قَدْ أَتَتْ أَشْعَارَا

قَدْ صُغِتَ مِنْ وَرْدِ الْقَوَائِي عِطْرَهَا
لِتَفُوحَ فِي أَفُقِ الزَّمَانِ بِهَارَا

قَدْ صَارَ حَرْفَكَ فِي الْمَدِيْحِ كَأَنَّهُ
نَبْعٌ يَفِيضُ جَلَالَةً وَوَقَارَا

وَعَدَوْتُ فِي دَرْبِ الْقَصِيدَةِ سَيِّدًا
وَنَسَجْتُ فِي مَضْمُونِهَا أَسْرَارًا

شِعْرٌ أَتَى فِي مَدْحِ أَحْمَدَ فَائِقًا
وَرَشِيقُهُ لَا يَتَّعِبُ الْأَفْكَارًا

قَدْ صَارَ ذِكْرُكَ فِي الدِّيَارِ مُدَوِّيًّا
يَعْلُو صَدَاهُ مَنَاقِبًا وَنَجَارًا

قَدْ نَلْتِ مِنْ مَدْحِ النَّبِيِّ جَلَالَةً
وَاخْتَرْتَهُ دُونَ الْمَجْرَةِ جَارًا

يَبْقَى كَمَا النَّجْمِ الَّذِي يَهْدِي الْوَرَى
إِنْ ضَلَّ شِعْرٌ فِي الدُّنَا أَوْ حَارًا

جَسَدَتْ مِنْ نَظْمِ "الشِّفَاءِ" حَقِيقَةً
وَكَانَهُ طَهُ الَّذِي قَدْ زَارَا

دَبَّجَتْ فِيهِ بَدِيعَ نَظْمٍ رَائِعٍ
يَسِيَّ الْعُقُولِ وَيَشْبَهُ الْإِسْكَارَا

تَلَكَ الْحُرُوفَ، وَقَدْ كَسَوْتَ جَمَاهَا
صَاغَتْ فُصُولَ شِفَائِنَا أَفْقَارَا

مِنْ "غَيْضِ" فِكْرِكَ قَدْ نَثَرْتَ عُصَارَةً
تَسْقِي الْقُلُوبَ وَتُنْبِتُ الْأَزْهَارَا

فِي "كَاسِ" شِعْرِكَ يَرْتَوِي عَطْشَانَا
قَدْ سَالَ نَهْرًا طَيِّبًا مَدْرَارَا

تَحِيًّا وَتَبَقَّى يَا زَوِيرُقُ مَشْعَلًا
نَبْضًا يُجِدُّ فِي الْبَيَانِ مَسَارًا

كرم الضيافة: الكسكس وقصة الحب للأدب

وما زاد هذا اليوم تميزاً هو دعوته الكريمة لي بإصرار لتناول الكسكس على الطريقة المغربية الأصيلة. جلسنا إلى مائدة عامرة، وأثناء تناولنا الطعام، استمر الحديث بيننا عن الشعر والتاريخ والموروث الثقافي المغربي. كانت تلك الوجبة تحمل في طياتها جزءاً من التراث المغربي، كما حملت قصائد زويريق جزءاً من ذلك التراث الذي لا يزول.

كرم الضيافة الذي أظهره لي كان جزءاً من شخصيته المتواضعة التي تجمع بين العظمة والبساطة. رغم شهرته الواسعة وإبداعه الشعري الغزير، كان إسماعيل زويريق يجسد في تعاملاته سمة الأدباء الكبار: التواضع، والكرم، والمحبة. كان يقدم لي الطعام كما يقدم لي أشعاره، بحب واهتمام، لسان حاله وهو يتحدث معي على مائد الكسكس: "الأدب هو غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد".

وبعد ذلك اصطحبني إلى مقهى خاص اعتاد أن يجلس فيه، حيث تتمزج رائحة القهوة الطازجة برائحة الشاي الأخضر والنعناع وبأجواء السكون والتأمل، وتندفق فيه الأفكار بهدوء، بعيداً عن ضوضاء الحياة اليومية. وفي هذه المقهى احتسيت أنا الشاي الأخضر المنعنع الذي صرت أعشقه مع عشقي للمغرب.

بعد الساعات الطويلة التي قضيتها مع أستاذنا الشاعر الكبير زويريق بغروب الشمس، غادرت وأنا أحمل في قلبي تجربة لا تُنسى. لم تكن مجرد زيارة لشاعر، بل كانت رحلة في تاريخ الأدب المغربي والشعر العربي. لقد عشت معه لحظات من الحب للشعر والإبداع، وتعلمت كيف أن الكلمة يمكن أن تكون جسراً بين الأجيال، وكيف أن الأدب قادر على عبور الزمان والمكان ليبقى خالداً.

الأستاذ إسماعيل زويريق لم يكن مجرد شاعر؛ كان إنساناً عاشقاً للكلمة، مخلصاً للفكرة، وصوتاً قوياً ينقل رسالة الحب والتسامح والثقافة. ترك في نفسي أثراً عميقاً، وأعطاني نظرة جديدة إلى الشعر والأدب المغربي، وكيف يمكن للأدب أن يعبر عن الروح الإنسانية بأصدق أشكالها.



الفصل السابع المثقفون والشعراء وقراء

مراكش: لقاء مع النخبة المثقفة.

في أحد أمسيات مراكش الفريدة، والتي تفوح فيها روح التاريخ والإرث الثقافي الإسلامي، كان لي شرف لقاء نخبة من المثقفين والشعراء والقراء في جلسة فكرية لا تُنسى. كانت هذه الأمسية في ضواحي مراكش، في دار الحاج يوسف عبيد العامرة بالبركة والخير، كانت تلك الأمسية مليئة بالعلم والأدب والكرم والحفاوة والتقدير، وجمعت تحت سقفها شخصيات بارزة من فقهاء وعلماء وأكاديميين، تتجسد فيهم ملامح التواضع، الكرم، والثقافة العميقة.

التواضع والكرم: سمات صاحب الدار والنخبة الحاضرين

منذ لحظة دخولي إلى المكان، كان من السهل أن ألاحظ كرم صاحب الدار وتواضع النخبة الحاضرة، الذين على الرغم من مكانتهم

العلمية البارزة، يتحدثون بلين ويستمعون باهتمام لكل من حولهم. كان الكرم أيضاً طاعياً في الحوارات، حيث لم يخلوا بنقل معرفتهم ومناقشة أفكارهم مع كل من يريد الاستفادة.

إن تواضعهم لم يكن مجرد تواضع لفظي، بل تواضع معرفي أيضاً. فبدلاً من إظهار أنفسهم كمرجعية لا تقبل النقاش، كانوا يشجعون على التفكير والنقاش المفتوح، وهو ما يعكس احترامهم العميق للعلم والرغبة في نشره.

الثقافة والأدب: عمق المعرفة وسلاسة الحضور

في تلك الأمسية، كان الحوار يتنوع بين العلم والأدب والشعر والفكر الإسلامي. كل متحدث كان يُثري الجلسة بمعرفة غنية لا تقتصر على تخصصه فقط، بل تمتد إلى مختلف الفنون والعلوم. كان الأدب، بمعناه الأوسع، سمة أساسية لهؤلاء المثقفين. لم يكن فقط أدب الحوارات، بل أدب التعامل وأدب تقديم العلم والمعلومات.

الشعراء الذين حضروا الجلسة كانوا يتناوبون على إلقاء قصائدهم التي تمزج بين اللغة العربية الفصيحة وروح مراكش المفعمة بالحياة، بينما

يشارك العلماء في نقاشات عميقة عن التراث الإسلامي والفكر المعاصر. كان الجميع يحترم الأدب والشعر كجزء من إرث الأمة، ويستخدمونه كوسيلة للتواصل مع الجمهور وتوصيل الرسائل الفكرية.

وفي ختام هذه الأمسية، تم تقديمي بحفاوة كبيرة من الإخوة المغاربة، حيث ألقى بعض الأبيات التي كتبها في أحد أعلام المغرب. كانت كلماتي تعبيراً عن أعلام المغرب كله، وللثقافة المغربية العريقة التي تجمع بين الأصالة والتنوع، ثم شكرت الحاضرين، وعبرت عن مدى سروري البالغ بحضورهم.

اللطافة والالتزام بالإرث العلمي الإسلامي

ورغم الجدية في المواضيع المطروحة، كانت اللطافة سمة واضحة في تعاملاتهم. تميزت الحوارات بالابتسامات، والنقاشات بالإصغاء الحقيقي والتقدير لكل رأي، مما جعل الجميع يشعرون بأنهم في بيئة ترحب بالأفكار الجديدة دون أي ضغط أو توتر.

ما أدهشني هو التزام هؤلاء الأكاديميين والعلماء بالإرث العلمي الإسلامي. كانوا يمزجون بين الحداثة والأصالة في نقاشاتهم،

ويتناولون مسائل فكرية ودينية معاصرة بمرجعية علمية مستمدة من تاريخ العلماء المسلمين العظماء. كان من السهل أن ترى في وجوههم، وتستشعر في كلماتهم، روح الموحدين والمرابطين، الذين نشروا العلم والفكر في مختلف بقاع العالم الإسلامي.

خلاصة اللقاء: نخبة تضيء حاضر الفكر الإسلامي

كان لقاءً لا يُنسى. هؤلاء المثقفون والشعراء والقراء الذين جمعهم حب العلم والإبداع والتفاني في نشر المعرفة، تركوا في نفسي انطباعاً لا يُمحى. تواضعهم، كرمهم، ثقافتهم، وأدبهم جعلوني أشعر أنني أمام نخبة من العلماء الحقيقيين الذين يجسدون روح الموحدين والمرابطين. تلك الليلة، كانت مراكش ليست فقط مدينة الأسوار الحمراء، بل أيضاً مدينة الفكر والثقافة والكرم والحب والتقدير، تشع بنور هؤلاء المثقفين.



الفصل الثامن على هامش الأمسية: عباس أرحيلة : أستاذ البلاغة ومُعلم الأجيال

في مساءٍ ساحرٍ من أمسيات الثقافة والفكر في المدينة الحمراء " مدينة مراكش"، أتيحت لي الفرصة للالتقاء بالأستاذ الدكتور عباس أرحيلة، أحد أبرز أعلام البلاغة في المغرب العربي. كان هذا اللقاء، الذي تم بفضل رفقة أستاذي الشاعر الكبير إسماعيل زويرق، الملقب بشاعر النبي صلى الله عليه وسلم، صاحب ديوان " على النهج" الذي زاد على عشرين ألف بيت، هو من أصطحبني معه إلى هذه الأمسية والتي كانت بمثابة هبة من السماء، وفرصة من فرص العمر الثقافي والمعرفي، حيث أسرتني سحابة من المتعة والفائدة. منذ اللحظة الأولى، التي التقيت فيها بالبلاغي الكبير والأستاذ المتمرس عباس أرحيله، شعرت بأنني أمام شخصية علمية عميقة، تجمع بين المعرفة الواسعة العميقة، والتجربة الفكرية الناضجة، والتواضع النادر.

رفقة مباركة إلى الأمسية المباركة

كانت رفقتي المباركة مع الأستاذ إسماعيل زوبرق في طريقنا إلى الأمسية الثقافية، التي عُقدت في بيت الحاج يوسف، صاحب الكرم والفضل وحب العلماء ومجالسهم. كانت هذه الرفقة فرصة للاستماع إلى حديث أستاذنا زوبرق عن مجموعة من أعلام المغرب عموماً، ومدينة مراكش على وجه الخصوص، مما أضفى علي معرفة وثقافة قبل اللقاء. وقد حدثني عن الدكتور عباس وأنه من أكابر فطاحلة البلاغة في البلاد المغربية - حرسها الله - وكنت في تلك اللحظات أشعر بشغفٍ وشوقٍ لرؤية الدكتور أرحيلة، وهو العالم الذي رأيته في اللقاء وقد حظي بتقدير واسع من جميع الأوساط الأكاديمية.

شخصية علمية متواضعة

وما إن ركب الدكتور عباس أرحيلة بجاني واتجهنا إلى ضواحي مراكش حيث مقر الأمسية حتى شعرت بسحر حديثه الذي ينساب كالماء الزلال. لم يكن حديثه مجرد كلمات تُلقَى، بل كان شعاعاً من نور يتدفق من ينابيع علمه الغزير العميق. بحديثه البسيط، أوصلني إلى عمق عوالم البلاغة ومكنوناتها، كيف لا! وهو صاحب

فلسفة البلاغة وإعجازها، الدفاع عن تميز العرب بها، مما جعلني أدرك أن التواضع هو تاج العلماء الكبار، وأن العظمة تكمن في بساطة النفوس. في تلك اللحظة.

ومما يدل على تواضعه، احتفائه بي حتى شعرت أنه يراني ضمن طبقته وفي مصاف أقرانه، وعندما قدمني له الأستاذ إسماعيل على أنني من اليمن، تحدث حديثاً حيويًا عن تلك البلاد العريقة، وعمما تحمله من تاريخ ضارب في أعماق التاريخ الإنساني والمعرفي، ولما عرف أنني أعيش في بريطانيا، سألتني عن المستشرقين، واستفسر عما إذا كانت لا تزال هناك شخصيات بارزة تهتم بالتاريخ والتراث الإسلامي والعربي.

كما سألتني عن تكويني العلمي وموضوع أطروحتي للدكتوراه، مما أعطاني انطباعاً عميقاً عن حرصه على معرفة المزيد عن التجارب العلمية للآخرين. هذا الحوار الذي دار بيننا كشف لي عن إنسانية الدكتور أرحيلة، وعطشه الدائم للمعرفة، ولو عن طريق من هم دونه علماً وسناً ووجاهة.

لقد أدركت أن لقاءً بعباس أرحيلة كان بمثابة دروس حية في الأدب، والتواضع، والمعرفة، والتاريخ، والفكر.

البلاغة: فن عميق لا بد أن ينعكس آثاره على صاحبها

تعدّ البلاغة من أبرز أركان التراث العربي الإسلامي، إذ ليست مجرد أداة للتعبير، بل هي فنٌ راقٍ يجسد جمال اللغة وعمق المعاني. لقد كانت البلاغة وسيلةً لفهم الإعجاز القرآني وجمالية اللغة العربية. كما أشار إلى ذلك عمالقة الفكر، حيث تتجاوز البلاغة حدود الكلام لتصبح ميداناً للفكر والإبداع. وقد تجلّت في نصوص الجرجاني والزمخشري ارتباط البلاغة بالحكمة والعقل، كأداة لتوجيه الفكر وإدارة الحوار. ولذا، أضحت البلاغة جزءاً أصيلاً من الهوية العربية، تلعب دوراً محورياً في التعبير عن المشاعر والقضايا الدينية والاجتماعية، وكل ما تحمله من هذه المعاني والسمات كانت شخصية الدكتور عباس ناطقة به وبوضوح.

كلمته المتميزة في الأمسية وأثرها العميق

في تلك الأمسية، ألقى الدكتور عباس أرحيلة كلمة حول كتاب "فقه الفقراء والمساكين" للعالم المغربي الخرشبي، وهو موضوع تلك الأمسية الثقافية. لقد غاص أرحيلة في مضامين الكتاب، مُبرزاً مكانة صاحبه في الساحة العلمية، ومؤكداً على أهمية هذا العمل في إثراء الفكر

المغربي والإسلامي. باعتباره أحد المناقشين للأطروحة، قدم رؤية نقدية وتحليلية تُشيد بعبء هذا الكتاب، مشدداً على ضرورة الاهتمام بالإنتاج العلمي المغربي.

لم يقتصر حديثه على محتوى الكتاب فحسب، بل وجه دعوة صادقة للمثقفين والكتاب والعلماء للاهتمام بمثل هذا الإنتاج العلمي، مؤكداً أن تلك الأعمال ليست مجرد نتاج أكاديمي، بل هي مصدر للإلهام والإبداع. حث الجميع على استثمار جهود الباحثين في إنتاج دراسات تُعالج قضايا المجتمع، تسهم في إثراء المكتبة المغربية والعربية.

كانت لكلمته أثرٌ بالغ في نفوس الحاضرين، إذ نجح في توجيه الأنظار إلى أهمية العناية بالإنتاج العلمي المحلي، وحث الجميع على تقدير الأعمال التي تُخدم القضايا الاجتماعية والفقهية التي تمس حياة الناس.

مكانة عباس أرحيلة العلمية

إلى جانب التقدير الكبير الذي يحظى به الدكتور عباس أرحيلة من قِبَل أساتذته وطلابه في المغرب، فقد نال احترام وتقدير كبار علماء البلاغة في العالم العربي. وفي أول لقاءٍ به وحديثي معه برز أمامي اسم الدكتور محمد أبو موسى، شيخ البلاغيين المعروف وأحد أعلام البلاغة في المشرق العربي. لأن كليهما يُعدّان من أعمدة علم البلاغة، يتمتع كل منهما برؤية عميقة وفهم شامل لأسرار البلاغة، مما يجعل الدكتور عباس على قَدَم المساواة في المكانة والتمكن العلمي، وإن لم تبرز شهرته كما هي للعالم المصري محمد أبو موسى.

وقد ذكر لي الدكتور عباس أرحيلة أنه كان أستاذًا زائرًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، واحدة من أعرق الجامعات الإسلامية، حيث أثرى المشهد الأكاديمي بعمق معرفته وخبرته الطويلة في البلاغة، مُسهِمًا في تعزيز التواصل العلمي بين المغرب والمشرق في هذا المجال الهام.

الدكتور عباس حلقة وصل المعرفة بين الخلف بالسلف

لا يزال المغرب يحظى بعلماء ومفكرين بارزين، حيث يستمر تراثهم العلمي والثقافي في التأثير على المجتمع المغربي والعربي بشكل عام. هؤلاء العلماء يجسدون تلازماً بين العمق المعرفي والالتزام بالهوية الإسلامية والعربية، ويربطون بين الأجيال وبين التراث المعرفي الإسلامي والعربي مما يحافظ التنوع الفكري والثقافي في المغرب.

ويعتبر الدكتور عباس أرحيلة نموذجاً للعلماء المعاصرين الذين يجسدون هذه الروح. يعمل في مجال التعليم العالي، حيث يسعى لتطوير مناهج التعليم وتعزيز البحث العلمي. تُعنى مؤلفاته وأبحاثه بقضايا الهوية والثقافة المغربية، مما يعكس التزامه بالعمق المعرفي والتفاعل مع التحديات الحالية.

ختاماً

لقد كان لقاءي بالدكتور عباس أرحيلة من أكثر اللحظات إلهاماً في حياتي. كان لقاءً يجمع بين العلم والتواضع، ويعكس قوة البلاغة كوسيلة للتعبير والفهم. لم يكن مجرد لقاء علمي، بل كان تجربة

حياتية غنية، تعلمت منها الكثير عن العلم، عن البلاغة، وعن إنسانية العلماء. سيظل هذا اللقاء محفوراً في ذاكرتي كواحدة من التجارب الفريدة التي أثرت فيَّ بعمق.



الفصل التاسع "أعرق لمساجد والمدارس المراكشية: حيث يلتقي العلم والإيمان"

مدخل إلى المعالم الدينية والتعليمية في مراكش

بينما تجولت في مراكش، كان هناك شيء يربط كل زاوية في هذه المدينة بتاريخها الإسلامي العريق، وهو حضور المساجد والمدارس التي تُعتبر شواهد حية على عمق الروح الدينية والعلمية التي كانت تسود في هذا المكان. كانت المساجد أكثر من مجرد أماكن للصلاة، بل مراكز للتعليم والتفاعل الاجتماعي، حيث كان المسلمون يجتمعون يتبادلون المعرفة، ويتعلمون فنون الحياة وفقاً لتعاليم دينهم.

كان لدي شوق خاص لزيارة مسجد الكتبية، أشهر معلم ديني في المدينة، ومدرسة بن يوسف التي تُعد من أبرز المدارس الدينية في المغرب. لم تكن هذه الأماكن مجرد مباني عتيقة.

بل كانت تمثل تجسداً حياً للثقافة الإسلامية التي تحتفي بالعلم والدين
كركيزتين أساسيتين في حياة المسلم.

مسجد الكتبية: رمز الروحانية والمعمار الإسلامي

أثناء اقترابي من مسجد الكتبية، ارتفعت أمامي مئذنته الشاهقة التي
تبدو وكأنها تلمس السماء. كان المسجد بمثابة قلب المدينة الديني، إذ
بُني في القرن السادس الهجري يد السلطان الموحي عبد المؤمن بن
علي الكومي. وقفت أمام هذا الصرح المعماري الضخم، وشعرت
بتدفق الزمن يمر بين طيات جدرانه.

بني المسجد على الطراز الموحي، والذي يتسم بالبساطة والرقى في
التصميم. كانت تفاصيل البناء تعكس الذوق الفني الرفيع والهندسة
المعمارية الإسلامية في تلك الفترة.

لكن ما لفت نظري بشكل خاص هو المئذنة التي تشتهر بتفاصيلها
المتقنة وزخارفها الحجرية الدقيقة. لم تكن هذه المئذنة مجرد هيكل،
بل كانت رمزاً للروحانية التي تتدفق في قلب المدينة.

كان المسجد مركزاً للحياة الدينية والتعليمية في مراکش. هنا كان المسلمون يجتمعون ليس فقط للصلاة، بل أيضاً لتلقي الدروس الدينية، وحضور حلقات الذكر، ومناقشة القضايا العلمية والاجتماعية. المسجد كان يعبر عن التكامل بين الدين والعلم، حيث أن الإسلام كان دائماً يشجع على طلب المعرفة بجميع أشكالها.

مدرسة بن يوسف: حيث يزدهر العلم

بعد زيارة المكتبة، كانت وجهتي التالية هي مدرسة بن يوسف، التي بُنيت في القرن الرابع عشر وتعدُّ واحدة من أقدم وأكبر المدارس الدينية في شمال أفريقيا. عندما دخلت المدرسة، كانت الأجواء تملؤها رهبة العلم وروح المعرفة التي استوطنت هذا المكان لقرون.

تأملت في ساحة المدرسة، وكانت الزخارف الجصية على الجدران تعكس اهتمام المعماريين المسلمين بالتفاصيل الدقيقة والجماليات الفنية. لم تكن الزخارف مجرد فنون تزيينية، بل كانت تعبر عن الروح العلمية والدينية التي تسود في هذا المكان.

كل نقش وكل حرف كان يعبر عن مبدأ من مبادئ الدين والعلم. كانت مدرسة بن يوسف مكاناً يتجمع فيه الطلاب من مختلف أنحاء المغرب والأندلس لتعلم الفقه، اللغة العربية، والعلوم الإسلامية. كان هذا المكان يمثل رمزاً للقوة العلمية التي كانت مراکش تشتهر بها. هنا كان يتم تدريس القرآن الكريم، الحديث الشريف، والعلوم الشرعية، إلى جانب العلوم الطبيعية والفلسفة. في هذه المدرسة، كان المسلمون يسعون لتحقيق التوازن بين العلم والدين، متبعين قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

تأملات حول دور المساجد والمدارس في الحضارة الإسلامية

بين مسجد الكتبية ومدرسة بن يوسف، شعرت بأثني لم أعد مجرد زائر بل جزء من تاريخ طويل يمتد عبر القرون. في الحضارة الإسلامية، كانت المساجد والمدارس تُعتبر منارات للعلم والتدين. في هذه الأماكن، كان العلم يُنقل من جيل إلى جيل، وكان المجتمع يبني أسسه الروحية والعلمية.

أثناء تجولي، أدركت أن هذه المعالم لم تكن مجرد أماكن دينية أو تعليمية، بل كانت جزءاً من نظام متكامل يربط بين الفرد والمجتمع. كان الدين والعلم يتداخلان في الحياة اليومية، حيث كان المسلمون يعتبرون أن اكتساب المعرفة هو جزء لا يتجزأ من تقواهم وإيمانهم.

هذه الفكرة جعلتني أتأمل في كيفية ارتباط حياتي الشخصية بهذا التراث. كبريطاني من أصل يمني، شعرت بأن هذه الأماكن تعيدني إلى جذور تربيت عليها. في كل نقاش ديني أو علمي شهدته في تلك المساجد والمدارس، شعرت بأنني أقرب من قيم تمثل جزءاً من هويتي.

دور المساجد والمدارس في الحياة الحديثة

اليوم، لا تزال المساجد والمدارس في مراكز تلعب دوراً مهماً في حياة السكان المحليين، ولكن التحدي الأكبر الذي تواجهه هو الحفاظ على هذا التراث في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية الحديثة. فكرت في كيف أن هذه الأماكن كانت في الماضي مراكز للتفاعل العلمي والاجتماعي، وكيف أن المجتمع الحديث بحاجة إلى إعادة إحياء هذا الدور.

المساجد والمدارس يمكن أن تكون اليوم أكثر من مجرد معلم تاريخية. يمكنها أن تلعب دوراً في تعزيز الحوار بين الثقافات والأديان، وفي إعادة تفعيل القيم الإسلامية التي تجمع بين الإيمان والعلم. ربما تكون هذه هي الرسالة التي تحملها مراكش للعالم: أن الدين والعلم ليسا في تضاد، بل هما ركيزتان متكاملتان يمكن أن تساهما في بناء مجتمع أفضل.



الفصل العاشر في صحبة مراکش: تداخل الثقافات والأزمنة

مراكش: ملتقى الحضارات عبر العصور

منذ تأسيسها في القرن الخامس الهجري، كانت مراكش نقطة جذب للحضارات والثقافات المختلفة. المدينة التي بدأت كمركز للحكم الإسلامي في شمال أفريقيا، سرعان ما أصبحت مركزاً لتلاخ الأفكار والثقافات من مختلف أنحاء العالم. لم يكن هذا التلاخ مجرد نتيجة لعوامل سياسية أو اقتصادية، بل هو انعكاس لطبيعة المدينة التي استوعبت التغيرات وصهرتها في نسيجها الحضاري.

كانت مراكش محاطة بالصحراء الكبرى من الجنوب، وقريبة من أوروبا عبر مضيق جبل طارق، مما جعلها ملتقى طبيعياً للتجار والقوافل التي جلبت معها ليس فقط البضائع، بل أيضاً الأفكار واللغات والتقاليد. بين الأسواق المزدهمة والمساجد الفاخرة، وبين

الأحياء القديمة والقصور العريقة، تشعر بأنك تعيش في مدينة تتداخل فيها العصور وتختلط فيها الثقافات بوضوح.

التأثير الأندلسي في مراكش: الفن والمعمار

إحدى العلامات البارزة على هذا التلاحق الثقافي كانت التأثير الأندلسي الواضح في هندسة مراكش. بعد سقوط غرناطة في عام ٨٩٧ هجرية، شهدت المدينة تدفقاً كبيراً للمهاجرين الأندلسيين الذين جلبوا معهم تراثاً حضارياً غنياً بالعلم والفن والحرف. هذا التأثير تجلى بشكل خاص في الزخارف الهندسية المتقنة التي تزين الجدران والأسقف، وفي الحدائق المنظمة بشكل فني يعكس رؤية أندلسية للجمال والتناغم بين الإنسان والطبيعة.

في الأحياء القديمة والقصور مثل قصر الباهية، رأيت كيف أن الزخارف الأندلسية تندمج بسلاسة مع العمارة المغربية التقليدية. الزخارف الجصية والهندسة الدقيقة التي تشبه تلك الموجودة في قصر الحمراء بغرناطة، تروي قصة حضارة مزدهرة تمكنت من الحفاظ على فنونها حتى بعد أن غادرت الأندلس. الجمال في هذه المعالم كان

يعكس فلسفة الفن الإسلامي، حيث تتداخل الأشكال الهندسية وتناغم الألوان لتخلق إحساساً بالروحانية والسكينة.

التعايش الثقافي والديني في مراكش: نموذج حضاري

واحدة من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية التي تجسدت في مراكش كانت قدرتها على احتضان التعددية والتعايش السلمي بين الأديان والثقافات المختلفة. كان وجود اليهود في مراكش، وخاصة في حي "الملاح"، رمزاً لهذا التعايش الذي تبنته الحضارة الإسلامية، والذي حافظ على حقوق الأقليات في ظل الحكم الإسلامي.

تحت الحكم الإسلامي، تم منح اليهود وغيرهم من الأقليات الدينية حق العيش بحرية وممارسة شعائهم الدينية دون اضطهاد. كانت هذه المبادئ مطبقة، في الشريعة الإسلامية، وهي التي أمرت بالحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه، بغض النظر عن دينه أو عرقه.

في مراكش، تجلت هذه القيم بشكل واضح، حيث عاش اليهود في سلام ضمن مجتمع إسلامي يحترم حقوقهم، ويسمح لهم بممارسة تقاليدهم وبناء حياتهم الاجتماعية والاقتصادية.

حي الملاح كان مركزاً لهذا التعايش. كانت علاقات المسلمين باليهود تقوم على الاحترام المتبادل والتعاون، رغم أن اليهود يمثلون أقلية في بلاد أكثرية مسلمة. المقبرة اليهودية في "الملاح" تظل شاهدة على هذا التاريخ الطويل من التعايش.

كان هذا التعايش ليس مجرد تسامح، بل كان جزءاً من فلسفة حضارية عميقة تركز حقوق الأقليات وتضمن لهم العيش بكرامة تحت ظل الحكم الإسلامي.

مراكش الحديثة: تداخل الأزمنة والتأثيرات

اليوم، تعكس مراكش روح التعددية التي تطورت عبر العصور، ولكن بطريقة تجمع بين القديم والجديد. المدينة الحديثة تستقبل ملايين الزوار سنوياً من جميع أنحاء العالم، وهو ما يضيف لمسة جديدة إلى نسيجها الثقافي. بينما كنت أتجول بين المباني التاريخية

التي تحمل في طياتها قصص الماضي، لم أستطع تجاهل التأثيرات العصرية التي بدأت تظهر بوضوح.

في المطاعم والفنادق الفاخرة، تجد لمسات حديثة تتناغم مع الأصالة المغربية. هذه المظاهر الحديثة لم تطمس روح المدينة، بل أضافت إليها بعداً جديداً يعكس انفتاح مراكش على العالم الخارجي.

الأسواق القديمة لا تزال تقدم الحرف التقليدية، ولكن بجانبها ترى تصاميم عصرية تلي أذواق السياح والزوار من مختلف الثقافات.

ما يميز مراكش هو قدرتها على التكيف مع الزمن دون أن تفقد هويتها. تجد في هذه المدينة مزيجاً من الأزمنة، حيث تسير التقاليد جنباً إلى جنب مع الحداثة، وحيث تعكس العمارة والفنون تمازج الحضارات القديمة مع روح العصر الحديث.

تأملات شخصية في تداخل الثقافات

بالنسبة لي، كانت مراكش تعكس تجربة فريدة من نوعها، حيث تشعر بأنك تعيش في قلب حكاية تجمع بين العصور المختلفة.

كبريطاني من أصل يمني، وجدت في هذه المدينة نوعاً من التناغم الذي يشبه ما أحمله في داخلي من هويات متداخلة.

مراكش كانت مرآة تعكس لي تلك الفكرة الجميلة عن التنوع الثقافي، حيث يمكن للفرد أن يكون جزءاً من عدة ثقافات في آن واحد، وأن يشعر بالانتماء إلى ماضيه وحاضره في نفس الوقت.

في مراكش، شعرت بأني أنتمي إلى عالم أوسع من الحدود الجغرافية، عالم يقدر التعددية ويرى في التنوع مصدراً للقوة والجمال. كانت الأزقة الضيقة والأسواق تعبر عن تداخل الماضي مع الحاضر، وكانت العلاقات بين الناس تمثل تفاعلاً حياً بين الثقافات.

هذا التفاعل هو ما يجعل مراكش مميزة، ويجعلها قادرة على الاستمرار كمدينة تحتضن الجميع.

التعايش كقيمة إنسانية

مراكش لم تكن مجرد مدينة تاريخية؛ كانت تجسد معنى التعايش والتسامح الذي ميز الحضارة الإسلامية عبر العصور. في المدينة، كانت العلاقات بين المسلمين واليهود، وبين الثقافات المختلفة، تسير

في إطار من الاحترام المتبادل. هذا التعايش لم يكن مجرد حالة تاريخية، بل كان جزءاً من الروح الإنسانية التي تعلمت الحضارة الإسلامية الحفاظ عليها وتطويرها.

من خلال التفاعل اليومي الذي شهدته في مراكش، أدركت أن التعايش ليس مجرد فكرة فلسفية، بل هو جزء من الحياة اليومية للناس. في المقاهي والأسواق، ترى كيف يتفاعل السكان المحليون مع الزوار من جميع أنحاء العالم بروح من الانفتاح والترحيب.

هذه الروح التي تعلمتها مراكش من تاريخها العريق هي ما يجعلها مدينة عالمية بامتياز، تجمع بين الماضي والحاضر، وبين الثقافات المتنوعة في إطار من الاحترام المتبادل.



الفصل الحادي عشر زيارة أريكانة – رحلة إلى

سحر الطبيعة

في صباح يوم الخميس، السادس والعشرين من سبتمبر لعام ٢٠٢٤م، انطلقنا مع بزوغ أول خيوط الشمس نحو مغامرة جديدة تحمل في طياتها عبق الطبيعة وسحرها الآخاذ. كانت وجهتنا أريكانة، تلك الجوهرة الخضراء الملتصقة بسفوح جبال الأطلس، كأنها لوحة أبدية رُسمت لتكون ملاذًا للروح. ومع أول نسمة هواء باردة تلامس وجوهنا، شعرنا بأن هذه الرحلة لن تكون مجرد نزهة عابرة، بل ستكون تجربة نعيشها بكل حواسنا، نغوص فيها إلى أعماق الجمال.

حينها، كانت العائلة حاضرة بكل تفاصيلها؛ الضحكات المتبادلة، الحماس الذي يملأ العيون، وحتى السكون الذي يحيط بنا بين لحظة وأخرى. كان الشعور بالاجتماع في هذا المكان وكأنه لقاء أرواح كانت تحتاج إلى هذا الاحتضان الطبيعي، بعيداً عن ضجيج الحياة

اليومية. كل منا كان يحمل معه همومه، لكن في تلك اللحظات كما نتركها خلفنا لنعيش لحظة صفاء عائلية نادرة.

الصعود نحو الشلال: رحلة الروح والجسد

بدأنا بالصعود نحو الشلالات، وكانت هذه الرحلة التي تأخذنا في مسار صخري وعر لكنها مليئة بمشاهد تنبض بالحياة. كنت أشعر بأن الجبل ذاته يحتضننا، وكأننا نسير في حضن الطبيعة الأم. مع كل خطوة، كانت الطبيعة تُظهر لنا وجهاً جديداً من الجمال؛ شجيرات تتمايل مع النسيم، أصوات الطيور تعلو وكأنها تغني لنا ترحيباً خاصاً، والقردة تقفز بين الأغصان بمرح لا يوصف، تضفي على المشهد روحاً من البهجة والطبيعة البرية الخالصة.

في تلك اللحظات، بينما كانت خطواتنا تأخذنا نحو الأعلى، شعرت أن هذا المكان لم يكن بعيداً عن بلادي اليمن. تذكرت جبال اليمن الشاخنة وشلالاتها التي تندفق من قلب الجبال لتغمر الأرض والناس بالحياة. كان مشهد أريكانة يعيدني إلى وديان اليمن، حيث الخضرة والجمال يتناغمان مع الجبال، وكأن الأرض تفتح ذراعها لتستقبل كل عاشقٍ للطبيعة. هذا المكان جعلني أستعيد ذكرياتي مع شلالات

اليمن، وكأن جبال الأطلس تلتقي بروحي كما التقت جبال اليمن
بقليبي.

الوصول إلى الشلال: لقاء مع الجمال

وأخيراً، وصلنا إلى الشلال، وكأنه قطعة من الجنة تجري على
الأرض. المياه تندفق بقوة، تتراقص بين الصخور وتناثر كحبات لؤلؤ
في الهواء، تلامس وجوهنا برفق وكأن الطبيعة تريد أن تغمرنا
بنعمتها. كان صوت الماء العذب وهو يخدر من الأعلى كسمفونية
هادئة تهدئ من صخب أفكارنا وتعيد لنا سلامنا الداخلي.

وقفتُ هناك، مع عائلتي، نحتضن اللحظة بكل تفاصيلها. كان مشهد
الشلال لا يشبه فقط مناظر اليمن، بل كان يعيد لي شعور الانتماء إلى
الأرض والطبيعة التي تشترك فيها أوطاننا مهما تباعدت الجغرافيا. في
كل قطرة ماء تتناثر من الشلال، شعرت بأني أعيش في نفس
الوقت بين أريكانة واليمن؛ بين هذه الجبال التي تحكي قصة الجمال،
وبين جبال بلادي التي تحمل في طياتها روائح الزمن العتيق.

مائدة العائلة في حضن الطبيعة

بعد أن ارتويتنا بجمال الشلال، نزلنا إلى الوادي الجميل، وجلسنا معاً تحت ظلال الأشجار الوارفة، نبث عن مكان مناسب يتسع لروح العائلة. كانت هذه الجلسة ليست مجرد لحظة استراحة، بل كانت لحظة من التلاحم العائلي. جلسنا والأنهار تجري من تحتنا، والجميع يتحدث، يضحك، يشارك في تلك الأحاديث العفوية التي تُشعرنا بأننا معاً في قلب الطبيعة، نعيش ببساطة وسعادة. كان هذا الاجتماع بين أفراد العائلة يضيف إلى الطبيعة جمالاً آخر، فبين صوت خرير الماء وزقزقة الطيور، كان دفء العائلة يفيض حولنا.

جاء إلينا الطعام، وجبة الكسكس الطازجة والطاجين المغربي الذي لا يفارق نكهته روح المطبخ الأصيل. في تلك اللحظات، كان الطعام أكثر من مجرد غذاء للجسد؛ كان رمزاً للمحبة والروحانية التي نتدفق بينها، تتحد مع الجمال من حولنا. كانت كل لقمة تأخذنا إلى أعماق الطبيعة، وتجعلنا نشعر بأننا جزء من هذا المكان، حيث تتلاحم العائلة مع الأرض، وحيث يتوحد الجمال مع البساطة.

زيارة المعاصر: رحلة عبر الزمن

وكما لو أن الرحلة لم تكتفِ بالجمال الطبيعي، فقد أخذتنا إلى جزء آخر من تراث أريكانة العريق. قننا بزيارة المعاصر التقليدية، حيث يُستخرج زيت الأركان، الذهب السائل الذي تحمله هذه الأرض في جنباتها. كانت النساء يجلسن حول المعاصر، يمارسن حرفة توارثتها عبر الأجيال، وكأنهن ينسجن الماضي مع الحاضر في كل حركة من أيديهن.

رائحة زيت الأركان كانت تعبق في الهواء، تتناثر حولنا كما لو أنها تروي حكاية الأرض وعلاقتها بالإنسان. كان منظرهن وهن يعملن بتلك الوتيرة الهادئة يعيد إلى ذهني مشاهد الحرف التقليدية في اليمن، حيث النساء يمارسن حرفهن بحب وإخلاص، مستمدات قوتهن من الأرض التي تمنحهن كل شيء. كانت هذه اللحظة تذكرني بأن الأرض تعطي دائماً لمن يعرف كيف يحترمها.

أريكانة: حيث يتناغم الماضي مع الحاضر

لم تكن أريكانة مجرد مكان للتنزه، بل كانت موطناً للروح، ملاذاً يعود بك إلى الجذور ويعيد لك إحساساً بالانتماء إلى الطبيعة. كل شيء في هذا المكان كان ينطق بالتاريخ والجمال الطبيعي. في كل لحظة كنت أشعر أنني أقترّب من شيء أعمق، من فهم أعمق لما تعنيه الحياة عندما تكون متصلة بالأرض.

غروب الشمس: وداع ملهم

وفي نهاية اليوم، حين بدأت الشمس تغيب خلف الجبال، كان المشهد وكأنه وداعٌ حميم. أشعة الشمس الذهبية تنعكس على الجبال، وكأنها تقول لنا: "عدوا مجدداً". كان الغروب يحمل معه سحراً خاصاً، يدعونا لنعود إلى حياتنا اليومية لكن بحسٍ مختلف. ونحن نغادر، كانت عيون العائلة تلمع بنوع من الرضا والامتنان لهذه الرحلة التي جمعتنا ليس فقط مع الطبيعة، بل مع بعضنا البعض.

غادرنا أريكانة، لكن روح المكان بقيت معنا، ترافقتنا في كل خطوة. جبالها، شلالاتها، وأشجارها ستظل محفورة في ذاكرتنا،

تذكرنا دائماً بأن الأرض هي أمنا الكبرى، وأن الطبيعة لا تزال تحيا
بداخلنا، تنتظر منا أن نستمع إلى لغتها القديمة، لغة السلام والجمال.



الفصل الثاني عشر مراكش وجهة الأوروبيين

المفضلة بين سحر التاريخ وجمال الطبيعة

منذ لحظة صعودي إلى الطائرة المغادرة من مطار برمنجهام، بدأت ألاحظ شيئاً لافتاً: الأوروبيون يتدفقون نحو مراكش بأعداد كبيرة. كان الجو مشحوناً بحماسة غير معلنة، والركاب حولي يتحدثون بحوية عن وجهتهم. أوروبيون من مختلف الجنسيات - الفرنسيون، البريطانيون، الإسبان - يجمعهم هدف واحد: الوصول إلى مراكش. تلك المدينة التي بدت، في أذهانهم، كواحة ساحرة تجمع بين سحر التاريخ وجمال الطبيعة.

وعندما وصلت إلى مراكش، تأكد لي هذا الانطباع. الأوروبيون في كل مكان: في الأسواق القديمة، في ساحات المدينة، في الجبال والصحراء. وكأن المدينة خلقت لتستقبلهم، ولتغذي فيهم شعوراً بالحنين والمغامرة. كانت مراكش بالنسبة لهم ليست مجرد وجهة

سياحية، بل ملاذاً يجدون فيه السلام، والانغماس في تجربة فريدة من نوعها.

السوق: نبض الحياة الأوروبية في مراكش

في أسواق المدينة القديمة، كان المشهد مليئاً بالحركة والحياة. السياح الأوروبيون، ولا سيما الفرنسيون، يتجولون بين الأزقة الضيقة، يلامسون الأقمشة الملونة ويتفحصون المصنوعات اليدوية التقليدية. في كل زاوية، تجد مجموعة منهم يتفاوضون مع التجار، وكأنهم يحاولون استرجاع جزء من ماضيهم الذي يرتبط بهذه الأرض. كان الأوروبيون يتعاملون مع السوق وكأنه تجربة حسية بحد ذاتها، يجوبون الأزقة بابتسامات مشرقة، ويتبادلون الكلمات مع السكان المحليين رغم اختلاف اللغات.

بالنسبة للفرنسيين، بدا السوق وكأنه يعيد لهم شيئاً من ماضيهم. ترى في أعينهم إحساساً بالتآلف والانتماء، كما لو أن مراكش هي امتداد غير معلن لوطنهم. كان الفرنسيون يتحركون بين المحلات بفضول مستمر، يستكشفون كل شيء، ويستمتعون بكل لحظة.

ساحة جامع الفنا: مهرجان أوروبي في قلب مراكش

أما في ساحة جامع الفنا، فقد بدأ الأمر وكأنها ملتقى الأوروبيين بامتياز. كانت الساحة تعج بالسياح، لكن الأوروبيين شكلوا الجزء الأكبر من هذا المشهد. تجمعوا حول العروض الشعبية، واستمعوا بشغف إلى القصص والأساطير التي يرويها الحكواتيون، كما لو كانوا يسافرون عبر الزمن إلى عصور قديمة.

الأوروبيون في الساحة لم يكونوا مجرد متفرجين، بل كانوا جزءاً من الحدث. بعضهم التقط الصور، وآخرون انخرطوا في الرقصات الشعبية التي تعم الساحة بشكل عفوي.

كان واضحاً أنهم يجدون في مراكش شيئاً نادراً: مزيجاً من الفلكلور والحياة اليومية التي تختلف عن أي مكان آخر. بالنسبة لهم، كانت الساحة رمزاً حياً للحرية والانطلاق، مكاناً ينسون فيه روتين حياتهم اليومية في أوروبا ويستمتعون بكل لحظة في هذه المدينة الساحرة.

الجبال والصحراء: مغامرات أوروبية في الطبيعة

لم يتوقف حب الأوروبيين لمراكش عند حدود المدينة. خارجها، في جبال الأطلس وصحراء أكفاي، كانت المشاهد أكثر درامية. الأوروبيون، وخاصةً محبو المغامرة منهم، استجابوا لنداء الطبيعة الصافية. في الجبال، رأيتم يتسلقون القمم أو يمتطون الخيول وسط مناظر طبيعية تخطف الأنفاس. كانت الجبال مكاناً يجدون فيه هروباً من ضجيج حياتهم في المدن الكبرى. الهواء النقي، والمساحات الشاسعة، والصمت العميق؛ كل ذلك كان يدفعهم للتأمل والتجدد.

وفي الصحراء، كان المشهد أكثر روعة. تحت سماء مرصعة بالنجوم، نصب الأوروبيون خيامهم، وأوقدوا النيران، وانغمسوا في تجربة تختلف كلياً عن أي شيء قد عاشوه من قبل. بعضهم امتطى الجمال، والبعض الآخر اكتفى بالتأمل في الرمال التي تمتد بلا نهاية. كانت الصحراء بالنسبة لهم فرصة لاستعادة صفاء الذهن والانغماس في هدوء الطبيعة البدائي.

حب الأوروبيين لأهل مراكش

ولكن أكثر ما لفت انتباهي هو العلاقة التي تربط الأوروبيين بأهل مراكش. على الرغم من الاختلافات الثقافية واللغوية، كان هناك تواصل عميق بين الجانبين. السياح الأوروبيون لم يأتوا فقط للاستمتاع بالمناظر الطبيعية أو الأسواق؛ بل كانوا مفتونين بروح أهل المدينة.

ترى الفرنسيين والبريطانيين يتبادلون الحديث مع التجار والحرفيين، يسألون عن تقاليدهم، ويستمعون إلى حكاياتهم بشغف حقيقي. كانت هذه الحوارات، التي تبدأ بتبادل بسيط وتنتهي بصداقة، تعكس رغبة الأوروبيين في فهم مراكش بعمق أكثر من مجرد السياحة السطحية.

أهل مراكش بدورهم كانوا يبادلونهم الترحيب بكرم وسخاء، يفتحون بيوتهم وقلوبهم، ويدعونهم لتذوق المأكولات التقليدية والتعرف على الثقافة المغربية الأصيلة. هذا الترابط بين الأوروبيين والمغاربة كان جزءًا من سحر مراكش الذي جعلها تترعب في قلوب زائريها.

في النهاية، مراكش ليست مجرد مدينة أوروبية يحلم السياح بزيارتها، بل هي مساحة تجمع بين الثقافات المختلفة في تناغم فريد.

الأوروبيون لا يأتون فقط للاستمتاع بمجالها، بل ليعيشوا تجربة غنية،
يعشقون فيها تاريخ المدينة وحاضرها، أهلها وجمال طبيعتها. مراكش
في عيون الأوروبيين هي أكثر من مجرد وجهة سياحية؛ إنها قصة
حب يكتبونها مع كل زيارة، تعيد إليهم الشعور بالمغامرة، والدهشة،
والشغف بالحياة.



الفصل الثالث عشر خاتمة الرحلة: بين الماضي والحاضر

تأملات ختامية في مراكش

بعد أيام من التنقل بين أزقة المدينة القديمة وأسواقها، وبين قصورها وحدائقها، أدركت أن مراكش ليست مجرد مدينة تاريخية أو وجهة سياحية؛ إنها مكان يعيش فيه الماضي والحاضر جنباً إلى جنب في انسجام نادر. لم يكن هذا التداخل مجرد تناقض بين الحداثة والعراقة، بل كان تعبيراً عن روح المدينة التي تستمد قوتها وجمالها من قدرتها على المزج بين عصورها المختلفة وثقافتها المتنوعة.

أثناء الرحلة، كان لكل مكان زرته قصة تروي حكاية جزء من تاريخ المدينة أو جانب من حياتها اليومية. من الأسواق الصاخبة حيث تتناغم رائحة التوابل مع أصوات الباعة، إلى الحدائق الهادئة التي تقدم ملاذاً للتأمل في الجمال الطبيعي، كنت أجد نفسي في مواجهة دائمة مع عمق التاريخ وروحانية المدينة.

مراكش بين الماضي والحاضر

ما يميز مراكش، في نظري، هو قدرتها الفائقة على الحفاظ على هويتها رغم مرور الزمن وتغير الأحوال. المدينة التي تأسست كعاصمة للسلطين في العصور الإسلامية، استمرت حتى اليوم كرمز حضاري يجمع بين القديم والحديث. كل جزء من المدينة يحمل في طياته طابعاً خاصاً يجسد تفاعل الماضي مع الحاضر، وهو ما يجعل مراكش قادرة على الاستمرار في التأثير على زوارها وإلهامهم.

في الأسواق، كانت حركة الحياة اليومية تضج بالحوية. الباعة يعرضون سلعهم بنفس الطريقة التي ربما كانوا يفعلونها منذ قرون، والزبائن يتفاوضون بأسلوب يعكس التقاليد المتوارثة. لكن في نفس الوقت، تجد عناصر جديدة دخلت في حياة المدينة. المطاعم العصرية والفنادق الفاخرة تجذب الزوار من كل أنحاء العالم، مما يضيف لمسة حديثة إلى روح المدينة القديمة.

في مراكش، تشعر بأن الزمن ليس خطياً. بل هو دائرة تتداخل فيها الأحداث والأزمان. القصص القديمة تعيش في جدران المساجد والمدارس والقصور، بينما تتحرك الحياة اليومية في الأسواق والشوارع

بوتيرة جديدة. هنا، لا يُنظر إلى الماضي على أنه مجرد ذكرى، بل هو جزء من الحاضر والمستقبل.

المدينة كجسر بين الحضارات

كانت مراكش دائماً ملتقى للحضارات. من التجار الأفارقة الذين عبروا الصحراء الكبرى، إلى العلماء الأندلسيين الذين جلبوا معهم المعرفة والفن، كانت المدينة تعكس تنوعاً ثقافياً غنياً وممتداً. هذا التنوع هو ما أعطى مراكش هويتها الفريدة التي تجمع بين الروح الإسلامية والتأثيرات الأندلسية والأفريقية والأوروبية.

أثناء تجولي في حي الملاح والتأمل في آثار التعايش بين المسلمين واليهود، أدركت أن مراكش كانت دائماً جسراً يجمع بين الاختلافات. المدينة كانت ولا تزال تعبيراً حياً عن قدرة الحضارة الإسلامية على احتضان التنوع وحماية حقوق الأقليات. هذا الإرث الثقافي هو ما جعل مراكش مدينة عالمية، تنتمي إلى كل الحضارات رغم حفاظها على طابعها المغربي الأصيل.

مراكش كرمز للتنوع والتعايش

في قلب مراكش، شعرت بأني جزء من نسيج واسع ومتنوع، نسيج يمتد عبر العصور والحضارات. كانت المدينة تقدم لي صورة عن العالم كما يجب أن يكون: مكاناً يجتمع فيه الناس من مختلف الخلفيات والأصول، ويتشاركون في بناء مجتمع يحترم الاختلاف ويقدر التنوع. هذه القيمة كانت واضحة في كل زاوية من زوايا المدينة، سواء في تداخل الثقافات داخل الأسواق، أو في العلاقات بين الطوائف الدينية المختلفة.

مراكش ليست مجرد مدينة تاريخية تزخر بالمعالم القديمة؛ إنها نموذج حي لتفاعل الثقافات والحضارات. هذا التفاعل لم يكن نتيجةً لصدفة تاريخية، بل كان نتاج رؤية حضارية استوعبت الاختلافات وصهرتها في إطار من التسامح والتعايش. كانت العلاقات بين المسلمين واليهود في حي الملاح تعكس هذا التفاعل، حيث عاش الجميع بكرامة تحت ظل الحكم الإسلامي الذي حافظ على حقوق الأقليات.

أثر مراکش في تجربتي الشخصية

بالنسبة لي، كانت مراکش أكثر من مجرد وجهة سياحية. كانت مكاناً أعاد إليّ اتصالاً عميقاً بجذوري الثقافية، ومكنني من استكشاف تراثي العربي والإسلامي من منظور جديد. كوني بريطانياً من أصل يمني، وجدت في مراکش تذكيراً حياً بقدرة الحضارات على التواصل والتكامل. كانت الأزمنة المختلفة والثقافات المتنوعة تتداخل في تجربتي مع المدينة، مما جعلني أعود بذاكرتي إلى قصص أهلي عن التراث العربي والإسلامي.

في كل مكان زرته، سواء في الأسواق أو القصور أو المساجد، شعرت بأنني أعود إلى ماضي يربطني بجذور حضارية عميقة. هذا التراث كان يذكرني بأن الحضارات العظيمة لا تقوم فقط على القوة العسكرية أو السياسية، بل تقوم أيضاً على القيم الإنسانية التي تحترم التنوع والتعايش. كانت مراکش تعبيراً حياً عن هذه القيم التي تحتفي بالتعددية الثقافية والدينية.

رسالة مراكش إلى العالم

إذا كانت هناك رسالة واحدة يمكن لمراكش أن تقدمها للعالم اليوم، فهي أن التنوع هو ما يجعل الحضارات تزدهر. المدينة التي جمعت بين الحضارة الإسلامية والتأثيرات الأندلسية والأفريقية، واستوعبت المكونات المختلفة، تقدم نموذجاً يحتذى به في التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين الثقافات.

مراكش تعلمنا أن الحضارات ليست مجرد معالم ومبانٍ تاريخية، بل هي قيم وأفكار تجسد روح الإنسان في قدرته على العيش مع الآخر بسلام. إنها مدينة تجسد معنى التعايش بين الثقافات والأديان في إطار من الاحترام المشترك، وتعلمنا أن العالم بحاجة إلى المزيد من مثل هذه الأماكن التي تجمع بين الماضي والحاضر، وبين الحضارات المختلفة.



الفصل الرابع عشر وداع المغرب مع غروب

الشمس : تباريح الفراق

في مساء يوم الأحد التاسع والعشرين من سبتمبر لعام ٢٠٢٤م، عندما بدأت شمس المغرب تغيب على مراكش، شعرت وكأن لحظة الفراق كانت أثقل من مجرد وداع عادي. كانت الشمس تنسحب ببطء وكأنها تودعني أنا أيضاً، تترك وراءها أثراً ذهبياً فوق الأسوار العتيقة للمساجد والمآذن، وكأنها تشارك في هذه اللحظة الحزينة. مراكش، المدينة التي جمعت بين العراقة والجمال، لم تكن مجرد مكان أزوره؛ بل كانت جزءاً من روحي يتشكل مع كل زاوية مشيتها، وكل معلم تاريخي رأيت، وكل لحظة تأملتها.

كانت تلك اللحظات وكأنها وداع لأشياء كثيرة، وداع للأذان المغربي الفريد الذي صدح في المآذن العتيقة بصوت ينفذ إلى الروح، وللناس الذين تجذرت فيهم الأصالة وكرم الضيافة. مع كل

صوت أذان يصدح في الأجواء، كنت أشعر بأنه جزء من وداع أعمق؛ وداع لمراكش ولثقافة التي غمرتنا في كل لحظة.

عندما حان موعد الرحيل، استقلت سيارة أجرة إلى المطار. كان السائق رجلاً يحمل في حديثه الرزانة والأدب، ويمزج كلامه بشرح موجز عن بعض معالم مراكش وتاريخها، وكأنه كان يُضيف آخر لمسات الجمال إلى هذه التجربة. كانت كلماته مؤثرة ومفعمة بالدفع، وكأنها رسالة من أهل المدينة ليرسلوها معي وأنا أغادر. ودعني بكلمات بسيطة لكنها أثرت في روحي، تركت أثراً جميلاً في قلبي، وكأن مراكش نفسها تودعني من خلاله، تاركةً بصمة لا تُنسى في ذاكرتي.

المغرب: مزيج الحضارة والجمال

خلال رحلتي في المغرب، أدركت أن هذا البلد ليس مجرد تجمع للهدن والمعالم، بل هو نسيج من الحضارة والتاريخ والتنوع الثقافي. مراكش، بمدينتها القديمة وأسوارها التاريخية، كانت تعكس عظمة الحضارات التي مرت بها. الشوارع التي تعج بالحياة، الأسواق

التقليدية، والمباني العتيقة كلها كانت تقدم لي درساً في جمال الأصالة، جمال الماضي الذي ما زال يعيش وينبض بالحياة.

ذكرتني شوارع مراكش وتعقيداتها بمدينة صنعاء، باب اليمن وباب شعوب، حيث تسير وسط التاريخ وكأنك تسافر عبر الزمن. كانت لحظات التأمل في المدينة القديمة تعيد إليّ ذكريات تعز، المدينة التي نشأت فيها وحملت في ذاكرتي كل تفاصيلها. جبال الأطلس التي تحتضن مراكش كانت وكأنها امتداد لجبال تعز، وكأن الأرض برمتها تتحدث لغة مشتركة، لغة تحكي عن الجمال والتاريخ الممتد بين الزمان والمكان.

ولم تكن مدينة مراكش وحدها التي استحوذت على مشاعري، بل كان لكل جزء من ضواحيها أيضاً سحره الخاص. كانت أودية ضواحيها بخضرتها المتدفقة ووداعتها تعيد إلى ذاكرتي مشاهد من وادي السحول في إب، حيث يمتاز الجمال الطبيعي مع النقاء الداخلي. في كل لحظة كنت أتأمل فيها الطبيعة، كنت أجد تشابهاً روحانياً بين جبال المغرب وجبال اليمن، حيث كانت الطبيعة تروي قصة أزلية عن عظمة الجمال الذي يتجاوز حدود الجغرافيا.

وداع مراكش: لحظة وداع حضارة لا تنسى

حين كانت الطائرة تستعد للإقلاع، وألقيت نظرة أخيرة على مراكش من نافذة الطائرة، شعرت بشيء أكبر من مجرد حزن على فراق مدينة. كنت أودع تجربة لا تُنسى، تجربة جمعت بين الماضي والحاضر، بين الشرق والغرب. كان المغرب، بجباله وأسواقه وأهله، أكثر من مجرد مكان أزوره؛ كان درساً في الحضارة، في التسامح الثقافي، في الجمال الذي ينبعث من تفاصيل الحياة اليومية.

رغم أن المغرب لم يكن خالياً من العيوب، وهو أمر طبيعي في كل مجتمع، فإن الجمال الكلي لهذا البلد كان يتفوق على أي تفاصيل صغيرة قد تشوب الرحلة. كانت هناك لحظات ربما لم تتوافق مع توقعاتي، مواقف قد تكون خارج ما رسمته لرحلتي، لكنها لم تقلل من سحر التجربة. بالعكس، كانت هذه العيوب جزءاً من الحياة الطبيعية، لكنها لم تطغ على روعة وجمال الأماكن التي زرتها أو الناس الذين التقيت بهم.

كنت أغادر المغرب وأنا ممتن لكل لحظة، لكل زاوية في مراكش، ولكل صوت أذان سمعته. كانت كل لحظة تنطبع في ذاكرتي وتظل ترافقني. وداع المغرب لم يكن مجرد وداع مكان، بل وداع لروح

جمعت بين حضارة قديمة وحداثة متجددة، وداع لشعبٍ ترك في قلبي أثراً لا يمحي، وداع لجمالٍ يُغذي الروح ويبعث الحياة في كل تجربة.

وأنا في الطائرة، آخر نظرة لي على المغرب كانت تحمل في طياتها شكراً وامتناناً لهذا البلد الذي علمني كيف يمكن للجمال أن يعيش في كل تفاصيل الحياة، من أسواق مراكش العتيقة إلى مآذنها المشرقة، وكيف يمكن للثقافة أن تكون جسراً بين الماضي والحاضر، وكيف يمكن للتنوع أن يكون مصدر قوة وتسامح. سيبقى المغرب في ذاكرتي، كرمز حي للتوازن بين القديم والجديد، بين الروح والجسد، وبين الحضارة والجمال.



خاتمة

وعندما أُسدل الستار على رحلتي في مراكش، وأعود بذاكرتي إلى تلك الأيام التي قضيتها بين أسوارها وأسواقها، أدركت أن هذه المدينة ليست مجرد محطة عابرة في كتاب الحياة، بل هي فصل عميق يحمل بين طياته عبق الحضارة وروح التاريخ.

لقد كانت مراكش نافذة واسعة تطل على ماضي لا يزال ينبض بالحياة في كل زاوية وكل حجر. بين ضجيج أسواقها وصمت مساجدها، وبين حدائقها وشلالاتها، كنت أرى وأستشعر التعايش العريق بين الحضارات، وأستمع إلى صدى القرون الماضية في كل خطوة خطوتها.

هذه الرحلة لم تكن فقط إلى مراكش، بل كانت رحلة إلى داخلي أيضاً، حيث التقت الذكريات بالتأملات، واكتشفتُ من جديد معاني التعايش، الهوية، والارتباط العميق بالتاريخ. برفقة عائلتي،

وبحضور والدي في ذاكرتي وروحي، عشت هذه الرحلة بكل حواسها، وتركت كل تجربة أثراً لا يمحي.

اليوم، وأنا أختتم هذه الرحلة، أحمل معي من مراكش أكثر من مجرد ذكريات. أحمل معها قيمة الحضارة الإسلامية، وعمق الثقافة العربية، وجمال التنوع الإنساني. إنها مدينة ستظل ترافقني في أفكاري، تحلني إلى ماضٍ لا يفصل عن الحاضر، وتذكرني دائماً بأن العراقة والتنوع هما ما يجعل الحياة أكثر ثراءً وعمقاً.

وفي النهاية، لعل هذه الصفحات كانت قادرة على حمل جزء مما شعرت به وعشته، وعلى مشاركة القارئ لحظات من الجمال والتأمل في مراكش الحمراء. وأرجو أن يكون في هذه الكلمات شيء من تلك الروح التي تركتها هذه المدينة العريقة في نفسي، والحمد لله في البدء والختام.



دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في ٢٠١٧

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة- نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كما حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعددة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.



المحتويات



- الإهداء..... ٦
- تقريظ شعري..... ٧
- الفصل الأول من برمنجهام إلى مراكش: تأملات في الجو..... ١٥
- الانتقال بين عوالم مختلفة..... ١٥
- الهدوء والسكون في السماء..... ١٦
- الهبوط نحو مراكش..... ١٧

الفصل الثاني يميني في مطار مراكش أول لحظات لقاء بالمغرب

١٩

جمال المطار وروعة التصميم.....١٩

تنوع البشر ولغات العالم.....٢٠

عقب التاريخ وشوق للمغرب.....٢١

شوق إلى الماضي ورغبة في المستقبل.....٢٢

الخالقة: ولادة جديدة على أرض المغرب.....٢٢

الفصل الثالث مدينة مراكش: أصالة إسلامية ونخامة وتألّق عبر

التاريخ.....٢٤

أصالة إسلاميتها تأسيساً: مدينة إسلامية أصيلة.....٢٤

نخامة مراكش: معمار يعكس عظمة الحضارة الإسلامية ... ٢٥

تألّق مراكش: مركز الثقافة الإسلامية.....٢٧

جمال مراكش: مزيج بين الطبيعة والفن المعماري.....٢٨

تاريخيتها: مراكش مدينة صنعت الأحداث.....٢٩

وإخلاصة: مراكش، المدينة الخالدة.....٣٠

الفصل الرابع ذكريات مع المرابطين والموحدين: عبق التاريخ ومجد الحضارة الإسلامية.....	٣١
مدخل إلى ذكريات الماضي.....	٣١
المرابطون: من البدايات إلى المجد.....	٣٢
الموحدون: العصر الذهبي لمراكش.....	٣٣
التقدم الحضاري في عهد الموحدين.....	٣٤
تأملات شخصية في مجد المرابطين والموحدين.....	٣٤
العبق الروحي والتاريخي في مراكش.....	٣٥
الفصل الخامس ذكريات من قلب عاصمة المرابطين (مراكش):	
"خطاب زائر يميني إلى ابن تاشفين".....	٣٧
مراكش: مدينة المجد والعظمة.....	٣٨
بصمات اليمن في مراكش: وحدة الحضارة والتاريخ.....	٣٩
رؤيتك للحضارة: العلم أساس القوة.....	٣٩
قيادتك الحكيمة: بين العدل والشجاعة.....	٤١
معركة الزلاقة: لحظة انتصار للإسلام.....	٤١

- ٤٢.....إرثك الخالد: دروس للأجيال
- ٤٣.....مراكش: جسرك بين المشرق والمغرب
- ٤٣.....مراكش.. ذاكرة المجد
- الفصل السادس بين دفتي الأدب والشعر: لقاء مع الشاعر المراكشي
٤٥.....إسماعيل زويريق
- ٤٥.....مدخل إلى تاريخ الأدب والشعر في مراكش
- ٤٦.....لقائي بالشاعر إسماعيل زويريق
- ٤٧.....قصة ديوانه العظيم "على النهج"
- ٤٨.....يوم في مكتبة شاعر
- ٤٩.....زُويريق ونبضُ المديح
- ٥٤.....كرم الضيافة: الكسكس وقصة الحب للأدب
- الفصل السابع المثقفون والشعراء وقراء مراكش: لقاء مع النخبة
المثقفة.....٥٦
- التواضع والكرم: سمات صاحب الدار والنخبة الحاضرين.....٥٦
- ٥٧.....الثقافة والأدب: عمق المعرفة وسلاسة الحضور

اللطافة والالتزام بالإرث العلمي الإسلامي.....	٥٨
خلاصة اللقاء: نجبة تضيء حاضر الفكر الإسلامي.....	٥٩
الفصل الثامن على هامش الأمسية: عباس أرحيلة : أستاذ البلاغة ومُعلم الأجيال.....	٦٠
رفقة مباركة إلى الأمسية المباركة.....	٦١
شخصية علمية متواضعة.....	٦١
البلاغة: فن عميق لا بد أن ينعكس آثاره على صاحبها.....	٦٣
كلمته المتميزة في الأمسية وأثرها العميق.....	٦٣
مكانة عباس أرحيلة العلمية.....	٦٥
الدكتور عباس حلقة وصل المعرفة بين الخلف بالسلف.....	٦٦
ختاماً.....	٦٦
الفصل التاسع "أعرق لمساجد والمدارس المراكشية: حيث يلتقي العلم والإيمان".....	٦٨
مدخل إلى المعالم الدينية والتعليمية في مراكش.....	٦٨
مسجد الكتبية: رمز الروحانية والمعمار الإسلامي.....	٦٩

مدرسة بن يوسف: حيث يزدهر العلم ٧٠

٧١

دور المساجد والمدارس في الحياة الحديثة ٧٢

الفصل العاشر في صحبة مراکش: تداخل الثقافات والأزمة" ٧٤

مراكش: ملتقى الحضارات عبر العصور..... ٧٤

التأثير الأندلسي في مراكش: الفن والمعمار..... ٧٥

التعايش الثقافي والديني في مراكش: نموذج حضاري..... ٧٦

مراكش الحديثة: تداخل الأزمة والتأثيرات ٧٧

تأملات شخصية في تداخل الثقافات ٧٨

التعايش كقيمة إنسانية..... ٧٩

الفصل الحادي عشر زيارة أريكانة - رحلة إلى سحر الطبيعة ٨١

الصعود نحو الشلال: رحلة الروح والجسد ٨٢

الوصول إلى الشلال: لقاء مع الجمال ٨٣

مائدة العائلة في حضن الطبيعة..... ٨٤

- ٨٥..... زيارة المعاصر: رحلة عبر الزمن
- ٨٦..... أريكانة: حيث يتناغم الماضي مع الحاضر
- ٨٦..... غروب الشمس: وداع ملهم
- الفصل الثاني عشر مراكش وجهة الأوروبيين المفضلة بين سحر التاريخ وجمال الطبيعة..... ٨٨
- ٨٩..... السوق: نبض الحياة الأوروبية في مراكش
- ٩٠..... ساحة جامع الفنا: مهرجان أوروبي في قلب مراكش
- ٩١..... الجبال والصحراء: مغامرات أوروبية في الطبيعة
- ٩٢..... حب الأوروبيين لأهل مراكش
- ٩٤..... الفصل الثالث عشر خاتمة الرحلة: بين الماضي والحاضر
- ٩٤..... تأملات ختامية في مراكش
- ٩٥..... مراكش بين الماضي والحاضر
- ٩٦..... المدينة كجسر بين الحضارات
- ٩٧..... مراكش كرمز للتنوع والتعايش
- ٩٨..... أثر مراكش في تجربتي الشخصية

رسالة مراكش إلى العالم.....٩٩

الفصل الرابع عشر وداع المغرب مع غروب الشمس: تباريح الفراق
١٠٠.....

المغرب: مزيج الحضارة والجمال.....١٠١

وداع مراكش: لحظة وداع حضارة لا تنسى.....١٠٣

خاتمة.....١٠٥



الدكتور محمد بن قائد بن همام السعدي

أكاديمي وباحث يمني بريطاني، حاصل على درجة الدكتوراه في القضاء، وزمالة المستشار الشرعي في فقه المالكية الإسلامية وتسوية النزاعات، مشارك في العلوم الشرعية والمربية. له إسهامات علمية بارزة في التدريس والتأليف تجمع بين العمق الشرعي والمنهجية الأكاديمية الحديثة.

وإلى جانب نشاطه العلمي، هو شاعر وكاتب، قدم أعمالاً أدبية ودراسات نقدية تجمع بين الأصالة والمعاصرة. يسعى إلى تقديم رسالة العلوم الإسلامية بمنهج أصلي ورؤية ثقافية متكاملة تعزز العلاقة بين العلوم الشرعية والأدب والثقافة.

بين أسوار مراكش

تاريخ الذكريات والثقافة والتاريخ

”بين أسوار مراكش: تاريخ الذكريات والثقافة والتاريخ“ هو رحلة أدبية وتاريخية تأخذ القارئ إلى قلب مدينة مراكش، حيث يستعرض المؤلف تاريخها العريق تحت ظل المرابطين والموحدين، ويبرز دورها كمركز للمعلم والثقافة.

يقدم الكتاب لقاءات حصلت مع أبرز أعلام مراكش المعاصرين، مثل: الشاعر الكبير الأستاذ إسماعيل زويريق، والأستاذ الدكتور عباس أرحيلة أستاذ البلاغة والنقد، مسلطاً الضوء على تأثيرهما الأدبي والثقافي والفكري. كما ينقل المؤلف تجربة نابضة بالحياة حول معالم مراكش وشخصياتها التي أسهمت في تشكيل هويتها الثقافية.

خلاصة الكتاب: دعوة لاستكشاف مراكش من خلال تاريخها العريق، وجمال طبيعتها، وأعلام الأدب والشعر والثقافة المعاصرين فيها، في سرد أدبي يجمع بين الأصالة والمعاصرة.